

## أبو الحسن الرماني

بقلم

محمد زايدة

حينما التحقت بالدراسات العليا عام ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م كان نظام تخصص (الماحستير) يقوم على أساس الدراسة المنهجية لمدة عامين، مع تقديم بحث علمي يناقش فيه الطالب مناقشة غير علنية.

ولما كنت قد قرأت عن الرماني في عدد من الدراسات الحديثة، لم قرأت ماله المؤرخة (النكت في إعجاز القرآن) بتحقيق الأستاذ محمد خلف الله محمد والدكتور محمد زغلول سلامة أقول لما كان الأمر كذلك اخترت الرماني، لأقف على منهجه المتميز في بلاغة القرآن الكريم، ومن هنا عكفت على هذا الموضوع حتى أنجزته بفضل من الله تعالى.

ولما قدمت للمناقشة كنت شديد الشبه من هذا الموقف، ولما ناقشت فيه شبح الأستاذ أحمد محمد الحجار وشيخي الدكتور كامل الخولي -رحمهما الله تعالى- رأيت الرضا في عيونهما وفي مناقشتيهما، لكن الرضا لم يكن خالصاً من ضائبة شك، طافت بخاطر شيخي أحمد الحجار رحمه الله تعالى، فأخذ يسأل ويستفسر، ويحاول أن يسد رجحي، حتى يعرف إن كنت أنا الذي كتبت هذا البحث أو أن هناك أحداً ماعدني في كتابته، وربما كان في شك أني سرقته، أو سرت بعضه على الأقل، خصوصاً أن سرقة الأبحاث كانت -وما زالت- أمراً شائعاً في دوائر البحث العلمي، حينذاك اطمأن قلبي؛ لأن معنى هذا أن البحث بالصورة التي قدم بها كان أكبر من طاقتي ومن قدرتي؛ فحمدت الله سبحانه وتعالى على توفيقه لي في إنجازي على هذه الصورة في هذه المدة القصيرة.

ثم قرأ البحث بعد ذلك بمض أساندي فرضوا عنه، ولقد سرني كثيراً أن رأيت بعضهم يناقش إحدى الرسائل مستعيناً بما كتبت في هذا البحث.

ثم دارت الأيام، واقترح أحد تلاميذي في كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - بالرياض أن يطبع هذا البحث، هو رسالتي التي تقدمت بها للحصول على درجة العالمية (الدكتوراه) عام ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م، وبالفعل أخذ نسخة من كل منهما، وقدمها لإحدى دور النشر هناك، ولكن قبل أن يبدأ العمل حدث لي ما حدث من ظروف صحية، لزم معها أن أعود إلى مصر لمواصلة العلاج، ولإجراء عملية جراحية في القلب، وعلى الرغم من أن دار النشر قطعت خطوات كبيرة في طريق النشر، فتم حذف المادة، وقام بتصحيحها ومراجعتها أخوانى الكريمان: الدكتور محمود توفيق والدكتور السيد الدد - بارك الله فيهما وشكر لهما وجزاها حتى خبير الجزاء - أقول على الرغم من هذا فإن الأمر وقف عند هذا الحد، ولا أدري لماذا؟



وأنا اليوم حينما أشرع الباب الأول من هذا البحث لأول مرة بعد مرور أكثر من ربع قرن على إنجازهِ، فإننى أريد من رائيهِ أن يقبلنى زملائى وأخوانى وأمانتى بتلاخطاتهم عليه، وأنا أشكر سلفاً كل من صبر على قراءته، وأهدى إلى عيوى، وكشف عن قصورى.

ولله الحمد فى الأولى وفى الآخرة، وهو حسبي ونعم الوكيل.

عبدالله زايح

١٢ من ربيع الأول سنة ١٤٢٢ هـ.

٥ - يونيو سنة ٢٠٠١ م.

## اسمه والقباه

هو أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، الروماني، النحوي، الإخشيدى، المعتزلى، الوراق، الجامع، المولود ببغداد سنة ست وتسعين مائتين<sup>(١)</sup> والمتوفى بها ليلة الحادى عشر من جمادى الأولى، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة<sup>(٢)</sup> وكانت وفاته فى خلافة القاهر بالله تعالى أبى العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله تعالى<sup>(٣)</sup>.

والروماني: نسبة إلى بيع الرمان، أو إلى قصر الرمان المعروف بواسط، وهو الأقرب؛ لأنه عرف بالواسطى أيضاً.

والواسطى: نسبة إلى واسط، التى بها قصر الرمان.

والنحوي: نسبة إلى علم النحو، الذى برز فيه، حتى عد فى طبقة أبى على القاسمى، وأبى سعيد السيرافى<sup>(٤)</sup>.

والإخشيدى: نسبة إلى أستاذه وشيخه أبى بكر بن الإخشيد، الذى صاحبه فأطال صحبته، وأفاد منه وتأثر به.

والمعتزلى: نسبة إلى مذهب الاعتزال، الذى برز فيه، وعد من أقطابه.

والوراق: نسبة إلى حرفة الوراقة، التى يلدو أنه كان يمتثلها لضيق اليد، وقلة ذات يده.

والجامع: لأنه جمع بين عدد من العلوم وبرز فيها، كالنحو، والمنطق، والكلام على مذهب الاعتزال، والتفسير، وغير ذلك كما سيأتى تفصيله.

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦٦. الفهرست ص ٦٣. وهذا التاريخ على الراى الأشهر الذى عليه جمهور مترجميه، ولكن السيوطى ذكر أنه ولد سنة ست وتسعين ومائتين بغيمة الرواة ج ٢ ص ١٨٠. وقابيه على هذا الراى الفاروقى (طبقات المفسرين ١٧٦ ب) وطاش كبرى زاده (مفتاح السعادة ج ١ ص ١٧٤) وغيرهما. ولكن من المؤرخين من ذكر أنه توفي عن ثمان وثمانين سنة كابن الجوزى (المستظم ج ١ ص ١٧٦) وابن الأثير (الهداية والنهاية ج ١١ ص ٣١٤) والذهبي (العبر فى أخبار من غير ج ٢ ص ٢٤) وهذا يؤيد ما أشتاء هنا. هذا وخبر ميلاده موثق بأسانيد فى تاريخ بغداد ج ١٧ ص ٧.

(٢) وفيات توفى سنة الثنتين وثمانين وثلاثمائة (وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦٦. شذرات الذهب ج ٢ ص ١٠٩). والتاريخ الذى أشتاء عن الأزهرى والواسطى والتاريخى وابن التوازي فى تاريخ بغداد ج ١١ ص ٧. (٣) نزعة الألبا. ص ١٩. معجم الأدباء. ج ١ ص ٧٤.

(٤) طبقات النحويين والفقهاء ص ١٣٠. بغيمة الرواة ج ٢ ص ١٨٠.

ولقد عرف بالرماني جماعة، منهم:

١- عمرو بن تميم الرماني يباع الرمان، ولقد روى عن أبيه، وروى عنه كثير بن زيد.

٢- زيد بن حبيب الرماني الجهني، يباع الرمان، ويقال له الشمار، روى عن الشعبي وروى عنه الثوري ووكيع وغيرهما.

٣- أبو هاشم يحيى بن دينار الرماني، الذي كان ينزل قصر الرمان بواسطة، ولقد رأى أنسا بن مالك، وروى عن زاذان وسعيد بن جبير وغيرهما، وروى عنه الثوري وشعبة وغيرهما، وكان ثقة<sup>(١)</sup>.

٤- أحمد بن علي بن محمد أبو محمد أبو عبد الله الرماني المعروف بابن الشراي<sup>(٢)</sup>.

٥- علي بن عبد الله بن محمد بن علي بن رمان التونسي، أخذ عنه ابن غصقور<sup>(٣)</sup>.

## أسرته

يبدو أن أبا الحسن لم يكن من بيت مجده، ولا من بيت علم، لأن التاريخ لم يكن يهتم إلا بهذه البيوتات، يكتب تاريخها ويسجل مواليدها، ووفياتها، وصف حياتها ومبشئتها، وكلما زاد البيت في المجد زاد اهتمام التاريخ به.

وصاحبنا أبو الحسن لا ندرى عن أسرته شيئا، ولم يذكر لنا التاريخ من أمرها ما يساعدنا على تصور طبيعة نشأته، ومعرفه ظروف حياته الأولى، التي ترك أكبر الأثر في حياته، وكل الذي نعلمه أن أصله من سر من رأى<sup>(٤)</sup>، أما منزلة هذه الأسرة ومكانتها من العلم، أو من المجد والجاه، ومدى تأثيرها في أبي الحسن، فذلك أمر لا ندرى عنه شيئا، لأن التاريخ عبر هذه الأسرة كغيرها من ملايين الأسر، دون أن يعيرها أدنى اهتمام.

ويبدو أن أسرة الرماني من الأسر الفقيرة؛ لأن أبا الحسن عمل في مهنة

(١) الباب جا ص ٤٧٥. (٢) خاصن بغية الرعاة ص ١٥١. (٣) السابق ص ٢٤٠.

(٤) الفهرست ص ٦٢، شذرات الذهب ص ١٠٩، وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦١.

المعرفة، حتى عرف بالورق، ولو كانت الأسرة ميسورة الحال لكانت مشقة البحث عن الرزق، وانجته إلى العلم انجاسا كاملا، ولكن الذي لا تملك فيه أن هذه المعرفة عادت عليه بالخير الكثير.

فلقد أتاحت له من خلال هذه المهنة، فرصة الاطلاع على كثير من النفائس، التي كانت تقع بين يديه، حتى جعلت منه - بالإضافة إلى أفاضل العلماء الذين جلس بين أيديهم - عالما فاضلا مبرزاً في كثير من العلوم، وأولئك متكبراء ومناقشا لكثير من علماء عصره، كما يبدو للمطلع على قائمة كتبه، ومتصدرا للتدريس، حتى تخرج على يديه غير قليل من النجباء.

### مذهبه

اتفق المؤرخون على أن الروماني من كبار المعتزلة وأئمتهم، وكتبه وأقواله تشهد بذلك.

وهناك من يقول: إنه كان مع اعتزاله ضيعاً<sup>(١١)</sup>، وهناك من يقول: إنه بالضي معتزلي<sup>(١٢)</sup>.

أما اعتزاله فإنه أمر معروف عنه، وشهرته وذيعه لا تمكن أحداً من أن ينكره أو حتى يشكك فيه، ولقد أفاد الروماني من اعتناقه لهذا المذهب فوائد كثيرة، تبدو واضحة في وقوفه على أساليب التفكير وأدب الجدل، وتعمقه في مسائله، وسكابه على القرآن الكريم في فهمه وتفسيره، ويستخلص هذه الأحكام التي تشق مع عقيدته الاعتزالية، ويرد على أصحاب المذاهب الأخرى كلما ضحت الفرصة لذلك في كتب خاصة حيناً وفي تفسيره حيناً آخر.

ولقد ترك الرجل ثروة كبيرة من الكتب، التي خصصها لهذا المذهب ورسائله من منطق اليونان وأساليب تفكيرهم، ولقد تصدى الرجل بأساليب الجدل وأصول الاعتزال لخصوم العقيدة الإسلامية وأعدائها، يرد على شبهاتهم، وينقض عقائدهم، كما ذهب ينافح عن القرآن الكريم، ويدحض شبهات خصومه، ويرد على مسائلهم.

(١١) طبقات المفسرين للسيوطي ص ٥٤. طبقات المفسرين للداودي ورقة ١٧٦ ب.

(١٢) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٤٩. لسان الميزان ج ٤ ص ٢٤٨.



وحيثما هنا أن نذكر على سبيل المثال، طائفة من كتبه المتصلة  
بالاعتزال، أو بوسائله، من المنطق والجدل، أو التي كتبها في الرد على خصوم  
المذهب، أو خصوم الإسلام.

فله في المنطق والجدل:

- ١- صنعة الاستدلال ويشتمل على سبعة كتب.
- ٢- أدب الجدل
- ٣- أصول الجدل
- ٤- المنطق
- ٥- القياس

وله في الاعتزال:

- ١- جوامع العلم في التوحيد
- ٢- الأصلح الكبير
- ٣- الأصلح الصغير
- ٤- تهذيب الأصلح
- ٥- المسائل والجواب في الأصلح الواردة من مصر
- ٦- التوحيد
- ٧- مقالة المعتزلة

وله في الرد على خصوم المذهب أو خصوم الإسلام:

- ١- الروية في النقض على الأشعري
- ٢- الرد على المسائل البغداديات لأبي هاشم
- ٣- نقض استحقاق الذم في الرد على أبي هاشم
- ٤- الرد على الدهرية
- ٥- نقض التلبيد على يحيى بن عادي

هذا نموذج من الكتب<sup>(١)</sup> التي تعد أثراً مباشراً لعقيدة الاعتزال، ولكننا  
نعتقد أنه لم يكن منقاداً لكل ما يقول به شيوخ الاعتزال، فلقد كان يختلف  
معهم حينما يرى أن الحق ليس في جانبهم، يشتمل ذلك في موقفه من  
إعجاز القرآن وبلاغته، وما ترتب على هذا من آرائه في فواصل القرآن، على أن  
الاعتزال لم يترك هذا الأثر فقط، ولكنه ترك بصماته في أسلوبه وطريقة  
تفكيره، حتى عاب عليه معاصروه تغلغله في المنطق وصيغ كل شيء  
بصيغته<sup>(٢)</sup>، كل ذلك يدلنا على مدى ما فعله مبدأ الاعتزال به، ومدى ما  
تركه من أثر عليه.

(١) كل هذه الكتب مفردة، ولكننا استوحينا مضامينها من عناوينها، ونرجو أن تكون صوفيين في  
(٢) سباني لذلك مزيد من التفصيل عند الحديث عن أسلوبه.  
هذا.

١- لم يذكر أحد من المتقدمين أن الرماني كان متشيعاً، وأول من ذكر ذلك السيوطي والناودي وهما متأخران، ولم يرو أحد من المتقدمين أو المتأخرين شيئاً عن تشيعه، غير ما قاله التنوخي من تفضيله لعلی، وهذا رأى ليس خاصاً بالشيعه، وإنما قال به معتزلة بغداد.

٢- لم يكن موقف الرماني من قصة الغار وحديث غدير خم موقف الشيعي منهما، فلقد اتفق أن رجلاً من أهل البصرة دخل وسأل الرماني وقال له: ما تقول في حديث الغدير وقصة الغار؟ فقال الرماني: خبر الغار رواية وخبر الغدير رواية، والرواية لا تعارض الرواية<sup>(١)</sup>.

٣- لم يذكر المصنفون كتب الرماني بين كتب الشيعة، ولم يعقدوا كتابه في الإمامة، واحداً منها.

٤- وضع بعض علماء الشيعة الإمامية كتباً في الرد على الرماني، ككتاب «نقض الإمامة» على علي بن عيسى الرماني، لمحمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد، كبير الإمامية في عصره، والمتوفى سنة ثلاث عشرة وأربع مائة<sup>(٢)</sup>.

٥- قيل: كان السري الرفاء الشاعر المتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة جازاً لأبي الحسن الرماني بسوق العطش، وكان كثيراً ما يجتاز بالرماني وهو جالس على باب ناره، فيستجلسه، ويحادثه ويستدعيه إلى أن يقول بالاعتزال، وكان السري الرفاء يثني عليه، فلما طال عليه ذلك أنشد:

انزع أصدقاء الشبي وآله قراعا يقل البيض عند قراعه  
واعلم كل العلم أن وليهم سيجزي غداة البعث صاعاً بصاعه  
فلا زال من والأهم في علوه ولا زال من عاداهم في انضاعه  
وممنزلي رام عزل ولا ينني عن الشرف العالي بهم وارنفاعه  
طبعت على حب الوصي ولم يكن لينقل مطبوع الهوى عن طباعه

وهذا النص واضح وصريح في بعد الرماني عن الإمامية<sup>(٣)</sup>، وقلك القرائن

(١) اعتقه د. مازن في هذا علي «روضات الجنات» ص ٥٤٥.

(٢)، (٣) وهل من الضروري أن يكون الشيعي إمامياً؟

أما تشييعه فذلك أمر لم يكن موضع اتفاق بين المؤرخين القدماء، ولا بين الباحثين المعاصرين، فالذين يقولون بتشيعه يذكرون أن له كتاباً في تفضيل علي، وأن التنوخي ذكر أن الرماني كان يقول: «إن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ» (١) وهذا دليل عندهم على أن الرماني كان يؤمن بالتشيع والمذكرون يقولون: «إن مصنفات» (٢) على بن عيسى الرماني التي صنفها في التشيع لم يكن يقول بها وإنما صنفها تقية لأجل انتشار مذهب التشيع، وأن موقفه مع السري الرفاء الشاعر الشيعي دليل على ذلك (٣) هذا ما كان من موقف القدماء، أما الباحثون المعاصرون فإنهم حاولوا أن يحققوا هذه المشكلة، ويزيلوا اللبس منها، فالسيد محسن الأمين العاملي يرى أنه كثيرين قد خلطوا بين عقائد الشيعة والمعتزلة، كما نسب صاحب بن عباد والسيد المرتضى وغيرهم إلى الاعتزال (٤) ومعنى هذا أنه من الممكن أن يكون الرماني واحداً من ضحايا هذا الخلط بين العقيدتين.

ويذهب الأستاذ أقدم منز إلى أنه «إن بين المعتزلة شيعة كالزيدية، وكان من هؤلاء بعض أهل البيت مثل أبي علي الناعني، وهو أحد تلامذة أبي عبد الله المصري، وكان من الشيعة المعتزلة المشهورين إلى جانب من تقدم أبو الحسن الراوندي والرحاني اللغوي» (٥).

أما الدكتور مازن المبارك فإنه أطال الوقوف عند هذه المسألة، وانتبه إلى أن تفضيل علي رأى كانت تقول به معتزلة بغداد من قبل الرماني، فلقد قال به أبو جعفر الإسكافي (ت ٢٤٠ هـ) وبشر بن العتسر (ت ٢١٠ هـ) وأبو إسحاق الخياط (ت ٣٠٠ هـ) وبذلك يكون الرماني في رأيه هذا معتزلياً ببغداد كما هو في سائر أقواله وآرائه.

ويمضي بعد ذلك إلى أن قرأتين تشيعه تدل على أنه وقف في تشيعه حيث وقف معتزلة بغداد، ولم يتجاوز القول بتفضيل علي، بل تدل صراحة على أنه لم يكن في الشيعة من الإمامية (٦) ولعل أبرز هذه القرأتين ما يأتي:

(١) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٤٨.

(٢) ليس للرماني - فيما نعلم - من مصنفات يمكن أن يرحي عنوانها بالتشيع إلا كتاب وتفضيل علي وكتاب الإمامة.

(٣) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٤٨.

(٤) أعيان الشيعة ج ١ ص ٢٠٥ - (٥) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج ١ ص ٣٥٤.

(٦) وعلى من الضريدي أن يكون الشيعي إمامياً!



كلها تدل على أنه لم يكن منهم، وأما تفضيله عليها فقد رأينا قولاً قالت به  
معتزلة بغداد، وإذا فقد كان الرماني معترلاً، وهو إذا تسمع فإن تشييعه بقف  
عند تفضيل على، وليس هو من الإمامية على كل حال، وتفضيله لعل هو  
الذي جعله معلوداً عند بعضهم في الشيعة، وهو الذي جعله مكرماً عند  
غير الدولة البويهية<sup>(١)</sup>.

والذي يلاحظ على الدكتور مازن أنه يحاول جاهداً أن يدفع عن  
الرماني أنه كان في الشيعة من الإمامية، ولا أدري من الذي قال له ذلك؟  
فالمسبوطي لم يزد على قوله: إنه كان مع اعتزاله شيعياً، ولم يقل لنا إنه كان  
إمامياً أو زيدياً أو غير ذلك، والتوخي لم يزد على القول بأن الرماني كان ممن  
يقولون بأن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ.  
فمن أين أتى الدكتور مازن بهذه التهمة الوحشية، التي أرقق نفسه في  
دحضها وتفنيدها؟

أم أن الدكتور يرى أن مذهب الشيعة يتحصر في الإمامية، ومن ثم فإن  
من يقال عنه إنه شيعي فهو إمامي، والرماني واحد من هؤلاء؟  
أما أن محمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد قد ألف كتاباً<sup>(٢)</sup> في  
الرد على علي بن عيسى الرماني فهذا يدلنا على أن الرماني لا يقول إلا ما  
يعتقد أنه الحق، سواء أوافق الأصول العامة للمذهب الذي يؤمن به أم يخالفه،  
وإذا كان الرماني قد خالف المعتزلة في بعض المسائل المتعلقة بإعجاز القرآن  
وبلاغته وهو واحد من أقطابهم فحري به ألا يقول بكل ما يقول به الشيعة إن  
كان قد آمن بمذهبهم، ولا ضمير عليه أن يخالفهم فيما يرى أنهم ليسوا على  
صواب فيه، وربما كان قد كتب في كتابه «الإمامية» كلاماً لا يوافق مبادئ  
الإمامية، فندب صاحبهم هذا نفسه - وهو من تلاميذ الرماني - للرد عليه،  
ونحن لا نرى في هذا الرد دليلاً على أن الرماني لم يكن شيعياً، كما أن  
مقالة النجاة وعلماء الكلام والمنطقيين في نحو الرماني ومنطقه واعتزاله لا  
تنفي أنه كان من علماء النحو المبرزين ورؤوس المعتزلة ورجال المنطق.

(١) الرماني التحوي ص ٥٢ - ٥٥.  
(٢) أدعي الدكتور أن بعض علماء الشيعة قد ألف كتاباً في الرد على الرماني، ولم يذكر غير هذا  
الكتاب، ولا تعلم أن هناك غيره، وكان ينبغي عليه أن يذكر - لو كان يعلم - غير هذا الكتاب، أما  
أن يذكرنا ما لا أساس له فلا.

التدبير من ٦ من الطبعة المصرية ولم أجدها في مصدر آخر كما أن آيات  
السرى الرقاء الواردة ليست في ديوانه المطبوع ولا المخطوط، وإذن فهذه القصة  
لا ينبغي أن يعتمد عليها أحد كما اعتمد عليها الدكتور مازن؛ لأننا تشك  
في صحتها مادامت على الصورة التي ذكرها الدكتور مازن نفسه.

وإذا كان السيوطي هو أول من ذكر ذلك، وبينه وبين الرماني أكثر من  
خمسة قرون، فإن السيوطي لم يكن يبنى حكمه على غير أساس، فقلقد كان  
بين يديه ما يؤيد دعواه، وهي - في نظرنا - تلتخص فيما يلي:

١- من الكتب التي ألفها الرماني وتفضل على، و«الإمامة».

٢- مقالة التنوخي عن تفضيل على، ووضعه في المنزلة بعد رسول الله ﷺ.

٣- ذكر السيوطي أنه رأى تفسير الرماني<sup>(١)</sup>، ولقد ورد في هذا التفسير ما  
يعضد دعوى الشيع التي وضع بها السيوطي.

الرماني عند تفسيره لقوله تعالى: «فإن جهنم لموعدهم أجمعين لها  
سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم إن المتقين في جنات وعيون»،  
ويقال: ما أبواب جهنم؟ الجواب: قبل أطباق بعضها فوق بعض، عن علي  
صلوات الله عليه والحسن وقادة وابن جريح<sup>(٢)</sup>.

كما قال عند تفسيره لقوله تعالى: «ادخلوها بسلام آمين ونزعنا ما في  
صدورهم من غل» إخواننا على سرور متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم  
منها بمخرجين، ويرى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إني لأرجو أن  
أكون أنا وطلحة والزبير بمن قال الله جل وعز فيهم: ونزعنا ما في صدورهم  
من غل، فقال رجل من همدان: إن الله أعلم من ذلك، فغضب أمير  
المؤمنين عليه السلام وقال: إذا لم تكن نحن فمن هم؟<sup>(٣)</sup>.

فكون الرماني يقول عن علي رضي الله عنه: «أمير المؤمنين»، ويعقب  
اسمه بقوله: «صلوات الله عليه» نارة، ويقول: «عليه السلام» نارة أخرى يدل  
على أن الرماني لا يقف عند القول بتفضيل علي، ولكنه يذهب إلى أبعد من  
ذلك.

(٢). (٣) الجامع لعلم القرآن ج ١٢.

(١) طبقات الحسين ص ٢٤.

هذا ما دعى السيوطي - في نظرنا - للقول بتشيع الرمانى، وتبعه على ذلك من تبعه، ولا يقدح فى حكمه أن يكون بينه وبين من يحكم عليه خمسة قرون أو أكثر من ذلك، مادام يبنى حكمه على أساس متين، ولا يقول ما لا دليل عليه، ولماذا نطعن فى حكم السيوطي على الرمانى، ونحن نبيح لأنفسنا فى الوقت الحاضر أن نحكم على من سبق الرمانى بقرون بما تنتهى إليه من الدراسات الجادة النزيهة، حتى ولو لم يسبقنا إلى هذا الحكم أحداً؟ ولا يرى فى ذلك غشاضة مادامنا نملك الدليل على ما نقول، بل إن ذلك يكون من دواعى تقدير الباحث.

### شيوخه

لم تذكر كتب التاريخ والتراجم والطبقات من شيوخ الرمانى إلا أربعة، ونحن لا نظن أن شيوخ الرمانى هم هؤلاء الأربعة فقط، وإن كان من الممكن أن نعلمهم أكثر من تلقى عنهم العلم، وأكثر من أيدىهم من الجلوس، وأطال التمحى لصدور ذلك لأن طالب علم مثل الرمانى لا يمكن أن يترك مورد علم دون ما يصعب منه، ولا فرصة دون أن يهيئها، خاصة ونحن فى القرن الرابع الهجرى، وبمحال العلم منتشرة فى مسقط رأسه، ومشوى جسده، بغداد، والحركة المدرسية فيها لا نهى، والمناقشات حول المسائل العلمية لا تمكّن.

ولما يدفعنا إلى هذا، أن أكثر الكتب التى ترجمت له، نسبت أو تناسلت بسببه الأكبر، الذى ترك فيه أكبر الأثر، والذى طالت صحبته له، أكثر من غيره من شيوخه الآخرين، الذين حققت بهم كتب التراجم والطبقات، وهذا الشيخ أبو بكر بن الإخشيد.

فإذا كان هذا الشيخ قد نسب المؤرخون أو تناسوه، فما أخرى غيره بالنسب! ونحن نذكر هنا أساتذته الثلاثة - غير أبى بكر - لنستوقف مع هذا الشيخ الذى اعترف له بالأستاذية صراحة. وهؤلاء الأساتذة هم:

١- أبو بكر بن دريد: صاحب الجمهرة الشهيرة، والمقصورة ذاتة الصيت، فى الأدب العربى، ويبدو أنه تلقى على هذا الشيخ الأدب واللغة، ذلك أن ابن دريد كان أحفظ الناس وأرواهم للشعر والخبر، حتى قالوا: ما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد، ازدحماهما فى صدر خلف الأحمر، وابن دريد.

وقالوا فيه: أشعر العلماء وأعلم الشعراء<sup>(١)</sup>. توفي ابن دريد ٣٢١ هـ.

(١) مقدمة «ترجيب إعراب أبيات مطهرة الإعراب» ص ٧.

٢- أبو إسحاق الزجاج، وهو علم من أعلام النحو المشهورين، وله كتاب «أمالى الزجاج» توفي ٣١٦هـ.

٣- أبو بكر بن السراج، وهو من أعلام النحو، الذين خالفوا أصول البصريين في مسائل كثيرة، وله كتاب «الأصول»، ولقد ضرحه الرمانى فى كتاب «شرح الأصول» لأبى بكر بن السراج، كما شرح له «الجعل» و«الهجاء» و«الشكل والنقط». توفي ٣١٦هـ.

٤- أبو بكر بن الإخشيد، ولقد أشار إليه الرمانى صراحة عند تفسيره لقوله تعالى «فإذا قرأت القرآن فاستمع له من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون».

قال «يقال»: هل تدل الآية على أن الصرع ليس من قبل الشيطان؟  
الجواب: فيه خلاف بين أصحابنا، فأبو على يقول: نعم هو دليل على ذلك لأنه لو أمكنه أن يصرعه لكان له عليهم سلطان، ومذهب أبى الهذيل وشيخنا أبى بكر لا يدل، وذلك لقوله جل وعز «كالدَى يَمْخِطُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» وإن الله جل وعز قال: «إنما سلطانه على الذين يتولونه» والكلام هنا على سلطان الإغواء<sup>(١)</sup>.

وهذا الشيخ هو الذى نسب إليه الرمانى، ولم ينسب إلى أحد سواه من شيوخه، فقيل «الإخشيدى»<sup>(٢)</sup>، كذلك نسب الرمانى إلى مذهبه الذى تلقاه عنه وهو الاعتزال، فقيل «المعتزلى».

وأنا أظن أن صحبته لأبى بكر التى طالت أكثر من صحبته لأبى شيخ آخر قد تركت فيه أكبر الأثر، ذلك أن أبى بكر كان من أفاضل المعتزلة، وصلحاتهم وزهادهم، وكان حسن الفصاحة، وله معرفة بالعربية والفقه، وكان مبتعدا عن الدنيا وشواغلها، مشغولا بدينه وآخرته، متكيا على تأليف الكتب فى مختلف العلوم والمعارف<sup>(٣)</sup>.

فهو الذى فتح باب الاعتزال للرمانى، حتى برز فيه، وشهر به، وأفاد منه

(٢) لسان الميزان ج ٤ ص ٢٤٨.

(١) الجامع لعلم القرآن ج ١٢.

(٣) الفهرست ص ١٧٣.

إفادة كبيرة، فالمعتزلي لا بد له من الإكباب على القرآن الكريم؛ لأنه مادة مذهبه، وهذا ما فعله الرماني، كذلك يتحتم عليه أن يتعمق في المنطق وأساليب الجدل؛ لأن هذا وسيلته لإظهار مذهبه، وهذا ما غلب فيه الرماني أقرانه، حتى سلك فيه طريقا لم يعرفه من قبل، ولقد بلغ في الاعتزال حدا جعل المتكلمين يقولون عنه: وليس فيه في الكلام فناء، وبلغ في المنطق حدا جعل المنطقين يقولون عنه: وليس ما يزعم أنه منطق منطقا عندنا<sup>(١)</sup>.

وأما ما كانت صحة هذه الدعوى، فالذي يثبتها منها هو دلالتها على ما بلغ الرماني في المنطق والكلام، وما ذلك كله إلا بفضل صحبته لأبي بكر بن الإخشيد، أما إكبابه على كتاب الله وإدامة النظر فيه فقد أكسبه ذوقا شغافا، به يدرك أسرار التراكمب ومواطن الجمال، ومنحه بياناً يجيد به التعبير عن هذه الأسرار، والكشف عن هذه الحكمة، ولا توجع أهمية الإخشيدى إلى ذلك فحسب، ولكنها تعود أيضاً إلى الرماني قد تأثر بالإخشيدى في سلوكه وأخلاقه، ومعاملاته، ورعه وتقواه؛ حتى شهر بذلك وعرف عنه؛ حتى إذا أبا حيان التوحيدي كان يلقبه بالشيخ الصالح<sup>(٢)</sup>.

وذلك أثر لا يقل في نظري عن الأثر العلمي الذي تركه فيه، ذلك أن الشيخ لا ينبغي أن يلقن العلم لطلابه وكفى، ولكنه ينبغي أن يوجههم إلى أسلوب العمل، وأن يكون قدوة لهم، ومثلاً أعلى في حياتهم.

### تلاميذه

إن الحديث عن تلاميذ الشيخ أو الأتباع أمر مهم جداً، لأن التلاميذ امتداد لأستاذهم في الحياة، إذا أحسنوا الاستماع إليه وأحسنوا الاستفادة منه، فحتى لو استقل أحدهم بمنهجه وطريقته، فإن جلوره الأولى إذا فتن عنها ستوجد عند شيوخه وأساتذته، الذي جلس بين يديه، وتعهده بالعبادة والرعاية، وأفاض عليه من علمه وقضاه، حتى وصل إلى ما وصل إليه، لذا فإن الأساتذة الفضلاء والشيوخ الأجلاء ينظرون دائماً لأبنائهم في مجالس العلم نظراً لهم إلى أبنائهم من أصلابهم، لأنهم يرون فيهم أنفسهم وعقولهم ومبادئهم، فهم شعبة منهم غرسوها بأيديهم، فتمت في رعايتهم، وترعرعت في كفالتهم،



وربما خلد الأستاذ واحد من تلاميذه الذين أحسنوا التلمذة له، في الوقت الذي فقد فيه عن هذا الفضل والشرف أبنائه وأحفاده.

والرمانى واحد من أفاضل العلماء والشيوخ، الذين تصدروا للتدريس، وجلس بين يديه خلق كثير (١)، فحياته العلمية حافلة ومديدة، إلا أنه ليس كل من وفد إلى مجلس العلم أصبح تلميذا، ولا كل من حمل قرطاسا وقلمًا وحضر إلى حلقات الدرس استحق أن يسمى طالبًا، فمن لم يحسن الاجتماع والانتفاع فليس تلميذنا، ولا ينبغي أن يطلق عليه هذا جنى. انقطع للعلم طول حياته.

ولهذا فإن العبرة لا ينبغي أن تكون بعدد الحاضرين، ولكن ينبغي أن تكون بعدد المتفهمين، وكم من حاضر في مجلس العلم هو وما يجلس عليه سواء، لهذا فإن تلميذ أى شيخ أو أستاذ فى أى زمان ومكان إذا عدوا فإنهم دائما قليل، وهؤلاء هم التلاميذ حقًا، وما أكثر السقط وما أندر الدرر! وإذا انطبق قول الرسول ﷺ: «الناس كإبل مائة لا تجد فيهم راحلة» على الناس من حيث هم ناس، فإنه على المترددين على حلقات الدرس ومجالس العلم أكثر انطباقًا، فكم يخرج على يد الأستاذ الجامعى في كل عام؟ وكم واحد منهم يفخر؟ قد يكون واحدًا في العام، وربما تمر الأعوام ولا يجد من يستحق أن يفخر به.

لهذا لا تعجب إذا أردنا أن نحصى تلاميذ الرمانى فرجنا عددهم قليلًا لأن العبرة بقيمة التلميذ الذى تلقى العلم على يديه، والحمد لله أن تلاميذه الذين حفظت لنا كتب التراجم أسماءهم يعدون فخرا لأستاذهم، ولا يقل اعتداده بهم عن اعتداده بمؤلفاته العديدة التى تركها وراءه.

وفيما بلى إشارة موجزة إلى كل واحد من تلاميذه (٢) الذين عرفناهم.

١- أبو حيان التوحيدي، وهو أكثر تلاميذه ذكرًا له فى كتبه الباقية، التى وصلت إلينا، بعد أن نجت من نفعته التى صيها على كتبه، وناره التى

(١) على الرغم من غرابة أسلوب الرمانى فإن تلاميذه كثر، وفي هذا دليل على كثرة من حضر عليه، ولكل أسلوب عشاقه، الذين يميلون إليه، ويعجبون به، والناس فيما يعشقون مذهب. (٢) استعنا هنا بإحصاء الدكتور مازن المبارك لتلاميذ الرمانى.

أشعلها فيها، بعد أن ضاق بالحياة، وضاق بالناس؛ لأنه كان مقتوا عليه في الرزق، ولم يجد في عصره من يقدره قدره، أو ينزله منزلته، في الوقت الذي يرى فيه أمام عينه من هم في مستوى الرعايا والسفلة يرتعون في الأموال، ويتهلون من صنوف النعيم، ويلقون الترحيب والثناء، أينما حلوا، لشيء إلا لأن الدنيا أقبلت عليهم وأدبرت عنه، وإذا وصلت الأمور إلى حد أن يقاس فضل الإنسان بما بين يديه من أموال - حتى من غير أن تعرف مصادرهما - فتبا للحياة والناس.

ولقد أثنى أبو حيان على أستاذه وضيعه الرماني كثيرا، في غير كتاب من كتبه، وفي غير موضع من كل كتاب، ويعد ما كتبه أبو حيان عن الرماني من أوثق المصادر التاريخية لمن يريد أن يتصدى لدراسة الرماني، فهو تلميذه، وهو أوثق صلة به من غيره، ومن أعرف الناس به، وبحبائه ومسلوكه، وقد نجد عادة ما لا نجد عند غيره.

وربما قال بعض القاريين إننا ينبغي أن نأخذ ما يكتبه التلميذ عن أستاذه في حذر بالغ، لأن أمثال هذه الكتابات يقلب عليها طابع المخاطبة، والمخاطبة تكون أغلب فيها من العقل، والحب يغطي فيها وجه الحقيقة، وإذا كان هذا القول على جانب من الحق فإنه لا ينطبق على أبي حيان التوحيدي. لأننا إذا رجعنا إلى ما كتبه عن الرماني لا نجد مدحا محضا، ولا تحقيرا، من أبي حيان انتقلت إليها عقائد التوفيقيين في منطقته، ومقالة المتكلمين في منهجه الكلامي، ومقالة النحويين في أسلوبه النحوي، ولو كان أبو حيان مغرضاً لأغرض عنه عن أمثال هذه المقولات، أو لدافع عنه فيها، ونقد كلامهم، ودحض شبههم، وهو ما لا يعز عليه، ولكنه لم يفعل، وهذا دليل على نزاهة أبي حيان، ووضعه جانب الحقيقة فوق الحب والمخاطبة، وهذا ما يجعلنا نثق بما كتبه عن الرماني، هذا ولم يصر أبو حيان بعد الرماني طويلا فقد توفي سنة ٤٠٠ هـ<sup>(١)</sup>.

٢- أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي؛ وهو من علماء المعتزلة وأدبائهم، وهو الذي أثر عنه أن الرماني كان ممن يقول بأن عليا رضي الله عنه أفضل

(١) وهو بهذا يعد أول من سبق به من تلاميذه.

الناس بعد رسول الله ﷺ، وهى المقالة التى فتحت الطريق واسعا للأخذ والرد والجدل حول تشيع الرمانى، توفى التنوخى سنة ٤٤٧ هـ.

٣- أبو القاسم الديلمى، على بن عبد الله الدقاق، وهو نحوى بارع، أخذ عن الفارمى والرمانى والسيرافى، وهو الرجل الذى كان حاضرا فى المجلس الذى جاء فيه رجل إلى الرمانى يسأله عن الفرق بين «من» و«لام»، وبين «من» و«م»، والذى كان من أمره ما كان، مما بسطناه فى موضعه من هذا البحث، ويبدو أن أستاذية الرمانى لتلاميذه لم تكن فى العلم فقط، ولكنها كانت تمتد إلى الأخلاق والسلوك، والتعمك بقيم الإسلام ومبادئه، بدليل توجيهاته التى صدرت منه لتلاميذه فى تلك الجلسة، واتى أثبتناها فى موضعها. توفى سنة ٤١٥ هـ.

٤- محمد بن محمد بن الضعمان، وهو المعروف بالشيخ المفيد، وابن المعلم، وكان شيخ الإمامية فى عصره، وهو من أشهر تلاميذ الرمانى، وهو الرجل الذى كتب كتابا يرد فيه على كتاب الرمانى فى الإمامة، والذى جعله الدكتور مازن المبارك أحد أدلته فى دحض شبهة التشيع عند الرمانى، كما سبق أن ذكرنا المفيد سنة ٤١٣ هـ.

٥- أبو محمد الحسن بن على الجوهرى، وبعد عو والتنوخى أكثر من ذكر فى كتب التراجم من تلاميذه، وغالبا ما يقترون اسميهما باسم الرمانى، فيبعد أن يذكر المترجم شيوخه يقول: «ومن روى عنه، أو ومن أخذ عنه، أو من تلاميذه، أو ما شاكل ذلك، ثم يذكر الجوهرى والتنوخى، وقد يذكر معهما غيرهما وقد يكتفى بهما، وربما كان ذلك لكثرة ملازمتيهما له، أو لأنهما أكثر تأثرا به، أو لسبب آخر لا ندره، هذا ولم يعمر الجوهرى بعد التنوخى إلا سبع سنوات، توفى سنة ٤٥٤ هـ.

٦- أبو الحسن هلال بن المحسن الكاتب، وهو أقل ذكرا عند المؤرخين من الجوهرى والتنوخى، وهو إن ذكر فعند ذكرهما، ولا ينفرد دونهما بالذكر، توفى سنة ٤٤٨ هـ.

٧- أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيرى وأبو عبد الله بن ميمون العمري، ولقد انفرد بهما ابن قاضى شعبة فى طبقاته، ولا ندرى علام اعتمد فى ذلك.

٩- أبو القاسم علي بن طلحة بن عمرو، قرأ عليه وعلى الفارسي كتاب  
سيبويه، توفي سنة ٤٢٤هـ.

١٠- أبو طالب أحمد بن بكر بن أحمد العبدى: تلمذ عليه وعلى السيرافى  
والفارسي، وهو ثاني من لحق بالرمانى بعد التوحيدى، توفي سنة ٤٠٦هـ.

١١- أبو الحسن محمد بن حمدان الغلفى العجلي: صاحب شرح ديوان  
المتنبي، وهما آخر من بقى من تلاميذ الرمانى على قيد الحياة. توفي سنة  
٤٦٠هـ.

١٢- أبو الغنائم محمد بن أحمد بن عمر الخلال اللغوى: تلمذ عليه وعلى  
القاسمى والسيرافى.

### ثقافته

إن التخصص الذى تعرفه الآن فى دراسة العلوم والمعارف - النظرى منها  
والصيرى - لم يكن معروفًا فى عصر الرمانى، وأولى من ذلك أن يكون  
التخصص الدقيق غير معروف أيضًا بل غير وارد، وذلك لأن مصادر المعرفة -  
على نوعها واختلافها- كانت محدودة، وطلاب العلم إذ ذاك كانوا يهتمون  
للعلم، شريطين للمعرفة، لا يعرف الواحد منهم حدا يقف عنده فهو يضيف  
إلى عقله كل يوم جديدًا لم يكن قد علمه بالأسس، ولأن العلوم والمعارف  
لم تكن فى تلك الفترة فى بدايتها، لم يكن هم طالب العلم أن يستوعب وأن  
يتزود وكفى، ولكنه يستوعب ليعرف الأساس، وليضيف إليه وليبتكره، ولقد  
كانت المعارف متنوعة ومتشعبة، وكان طالب العلم لا يفرق بين لون من المعرفة  
ولون، فيأخذ هذا ويترك ذاك.

ولم يكن الرمانى إلا واحداً من طلاب المعرفة النهمين، الذين لا  
يشبعون، ولكن هل يمكن أن نضع صفة يمكن أن نرجع إليها ثقافة الرمانى  
المتنوعة ومعارفه الكثيرة؟ هل يمكن أن يكون هناك نوع من العرفة يستقطب  
كل هذه العلوم والمعارف عند الرمانى؟

نستطيع أن نقرر أن ثقافة الرمانى ثقافة قرآنية - على نوعها وتشعبها  
وتعددتها -، بمعنى أن القرآن الكريم هو مركز هذه العلوم والمعارف، وهو

القطب الذي تدور حوله كل ثقافة الرماني، وكل أنواع العلوم التي حصلها،  
وهضمها فأحسن هضمها، فبرز أقرانه فيها؛ كالأعزاز، والفقه، والنحو،  
والأدب، واللغة، والقراءات، والتفسير، وغيرها.

فأما القراءات والفقه والتفسير فإن القرآن الكريم لحمتها وسداها، وأما  
الاعتزال فإن القرآن مصدر أدلته وعماد حججه.

وأما النحو فإنه وسيلة لفهم معاني الآيات القرآنية، وكيف تختلف معانيها  
 باختلاف تقديرها الإعرابي، بل كيف يختلف التقدير الإعرابي باختلاف  
المعاني المحتملة في الآية الكريمة.

وأما الأدب فهو مقوم ذوقه، وصاقل طبعه، حتى يقف على آيات الجمال  
في التعبير القرآني المعجز، وإن هذا يتضح لكل من وقف على كتاب  
«النكت»، وعرف كيف يقف الرماني من الآيات القرآنية؟ وأين يضع البلاغة  
القرآنية؟

وقد يظن أن كتابه «النكت» موضع للبحث في إعجاز القرآن، فطبعي أن  
يكثر فيه من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم، وعلى الرغم من أن بين أيدينا من  
كتب الإعجاز الكثير، وأن أبا منها لم يسلك نهج الرماني هذا، فإننا لا نكتفي  
بهذا الرد، ولكننا نطالب بالوقوف على ما تبقى من كتب الرماني غير  
«النكت»؛ ككتابه «الحروف» مثلاً؛ لنرى أن هذه القضية مطردة عنده، وأن  
القرآن هو الأساس الذي يركز عليه في دراساته المختلفة.

وإذا رجعنا إلى تفسيره - وقد أتيت لي فرصة الاطلاع على جزأيه  
الباقيين وجدناه يستعين بهذه الثقافة المتنوعة على تفسير كتاب الله الكريم،  
فقيه بمترج النحو - وهو الصفة الغالبة على هذا التفسير - والاعتزال، والفقه -  
وهو قليل جداً - واللغة - وله فيها نظرات موفقة، وخاصة فيما يعرف بدروان  
المادة حوزل معنى واحد، وله باع طويل في الكشف عن أسرار الفروق بين  
الكلمات التي تبدو مترادفة، والأدب، فكثيراً ما يستعين هناك بالشعر على  
عكس منهجه في «النكت»؛ لأنه هناك يفسر، وفي «النكت» يكشف عن  
الإعجاز والقراءات، والبلاغة، وهي في تفسيره أقرب إلى الإشارة منها إلى  
الحديث العلمي المبسوط. ولقد امتعنا بوقفاته البلاغية في تفسيره عندما حللنا



بلاغته وعرضناها في الباب الثاني من هذا البحث.

وإن الناظر في مؤلفات الرماني - وأكثرها ضائع - سيجد غلبة القرآن عليها أيضا، فمن الكتب المستقلة التي خصها بدراسة القرآن، بالإضافة إلى تفسيره وإلى كتاب والنكت:

١- إعجاز القرآن، ومنحدث عنه حديثا تفصيليا، سيأتي في مكانه من هذا الباب.

٢- المختصر في علم السور القصار.

٣- المتشابه في علم القرآن.

٤- جواب ابن الإخشيد في علم القرآن.

٥- غريب القرآن.

٦- جواب مسائل طلحة في علم القرآن.

٧- مسائل أبي علي بن الناصر في علم القرآن.

وهناك كتب أخرى لا تحمل عنوانا صريحا كهذه الكتب، وإن كان من الممكن أن نوحى عناوينها بأنها تدور حول القرآن الكريم.

### مكانته العلمية

بعد الرماني من معالم القرن الرابع الهجري البارزة، فلقد كان عالما فاضلا، متمكنا من مادته العلمية، متقنا للعديد من العلوم والمعارف، التي وضعها في خدمة ثقافته القرآنية، ولم يقتصر الرجل على معرفة ما أتبع له من العلوم والمعارف، واستيعابه لها، ولكنه كان قد أولى عقلا فذا يكتشف به الجديد الذي يضيفه إلى العلوم قبورها ونميتها، ولقد ترك الرجل لنا حوالى مائة كتاب، لم تبق لنا يد الزمن من أكثرها إلا أسماءها وشفرات هنا وهناك، وبقي من كتبه عدد لا ينفى غلة، ولا يروى ظمأ؛ لأنه يعجز عن أن يعطينا المكانة العلمية الحقيقية التي يتمتع بها الرجل.

ولقد شهد للرماني بمكانته العلمية كثير من الذين ترجموا له، وأرخوا لحياته، وتحدثوا عن علمه وكتبه، فالزبيدي مثلا يضعه في الطبقة العاشرة من طبقات النحويين البصريين، من أصحاب أبي بكر بن السراج، مع أبي علي الفارسي وأبي سعيد الميرافى<sup>(١)</sup>.

[١] طبقات النحويين والبصريين ص ١٢٠.

وابن الأنباري يقول عنه إنه كان من كبار النحويين<sup>(١)</sup>.

وذكر غير واحد أنه كان إماما في العربية، علامة في الأدب، في طبقة  
الفارسي والسيرافي<sup>(٢)</sup>.

وحسبه مكانة في النحو، أنه أخرج حول كتاب مسيبويه عددا من  
الكتب، ولم يتح ذلك للكثير ممن كانوا في مثل منزلة النحوية، منها:

١ - شرح مسيبويه. ٢ - نكت مسيبويه. ٣ - أغراض مسيبويه.

٤ - المسائل والجواب من كتاب مسيبويه. ٥ - تهذيب أبواب كتاب مسيبويه.  
٦ - الخلاف بين مسيبويه والمبرد.

هذا عدا عددا من الكتب الأخرى التي كتبها في النحو خاصة،  
والمسائل العديدة التي أنارها في تفسير القرآن الكريم.  
ولهذا كله أطلقوا عليه «النحوي» فعرف به وشهره، وصار لصيقا  
باسمه، يذكر معه أينما ذكر<sup>(٣)</sup>.

ولم تقتف مكانة الرماني العلمية عند النحو والاشتغال به، فالتحقو لم  
يكن هدفا له، ولا غاية يسعى إليها، ويغنى العمر فيها، وإن كان وسيلة من  
وسائل الشقافة العديدة، التي تعينه على فهم كتاب الله الكريم، وإدراك  
أغراضه، ومعرفة مرامي، والوقوف على أسرار.  
فيأتي جوارر النحو اشتغل بالفقه وألف فيه، وبالفقه ومسائلها، وبالمنطق،  
وآدب الجدل، وعلم الكلام على مذهب المعتزلة، وصنف في كل ذلك عددا  
من الكتب.

وحسبه أن يقول عنه تلميذه أبو حبان التوحيدى إنه: «لم ير مثله قط  
بلا نقيه. ولا نخاش ولا اشمزاز ولا استيحاش، علما بالنحو وغزارة في الكلام،  
وبصرا بالمقالات، واستخراجا للعويص، وإيضاحا للمشكل»<sup>(٤)</sup>.

(١) نزعة الألباء ص ١٨٩.

(٢) طبقات الداودي ص ١٧٦ ب. طبقات ابن شبيب ج ٢ ص ١٧٤. بغية الوعاة ج ٢ ص ١٨٠.

مفتاح السعادة ج ١ ص ١٧٥.

(٣) متعود مرة أخرى إلى هذا الموضع عند الحديث عن أسلوبه.

(٤) المقابسات ص ٥٧.

بلاغته وعرضناها في الباب الثاني من هذا البحث.

وإن الناظر في مؤلفات الرماني - وأكثرها ضائع - سيجد غلبة القرآن عليها أيضا، فمن الكتب المستقلة التي خصها بدراسة القرآن، بالإضافة إلى تفسيره وإلى كتاب «النكت»:

١- إعجاز القرآن، ومنتحدث عنه حديثنا تفصيليا، سيأتي في مكانه من هذا الباب.

٢- المختصر في علم السور القصار.

٣- المتشابه في علم القرآن.

٤- جواب ابن الإخيد في علم القرآن.

٥- جواب مسائل طلحة في علم القرآن.

٦- مسائل أبي علي بن الناصر في علم القرآن.

وهناك كتب أخرى لا تحمل عنوانا صريحا كهذه الكتب، وإن كان من الممكن أن تروى عناوينها بأنها تدور حول القرآن الكريم.

### مكانته العلمية

بعد الرماني من معالم القرن الرابع الهجري البارزة، فلقد كان عالما قاضيا، متصكفا من مبادئه العلمية، متقنا لعدد من العلوم والمعارف، التي وضعها في خدمة ثقافته القرآنية، ولم يقتصر الرجل على معرفة ما أتبع له من العلوم والمعارف، واستيعابه لها، ولكنه كان قد أولى عقلا فذا يكتشف به الجديد الذي يضيفه إلى العلوم فيثريها وينميها، ولقد ترك الرجل لنا حوالي مائة كتاب، لم تبق لنا يد الزمن من أكثرها إلا أسماءها وشذراتها وهناك، ونفى من كتبه عدد لا يحصى غلة، ولا يروى ظمأ لأنه يعجز عن أن يعطينا المكانة العلمية الحقيقية التي يتمتع بها الرجل.

ولقد شهد للرماني بمكانته العلمية كثير من الذين ترجموا له، وأرخوا لحياته، وتحدثوا عن علمه وكتبه، فالزبيدي مثلا يضعه في الطبقة العاشرة من طبقات النحويين البصريين، من أصحاب أبي بكر بن السراج، مع أبي علي القارسي وأبي سعيد السيرافي<sup>(١)</sup>.

(١) طبقات النحويين واللفهين ص ١٢٠.

وابن الأنباري يقول عنه إنه كان من كبار النحويين<sup>(١)</sup>.

وذكر غير واحد أنه كان إماما في العربية، علامة في الأدب، في طبقة  
الفارسي والسيرافي<sup>(٢)</sup>.

وحسبه مكانة في النحو، أنه أخرج حول كتاب سيبويه عددا من  
الكتب، ولم يتح ذلك للكثير ممن كانوا في مثل منزلته النحوية، منها:

١ - شرح سيبويه. ٢ - نكت سيبويه. ٣ - أغراض سيبويه.

٤ - المسائل والجواب من كتاب سيبويه. ٥ - تهذيب أبواب كتاب سير

٦ - الخلاف بين سيبويه والمبرد.

هذا عدا عددا من الكتب الأخرى التي كتبها في النحو خاصة  
والمسائل العديدة التي أثارها في تفسيره للقرآن الكريم.

ولهذا كله أطلقوا عليه «النحوي» فعرف به وشهره، وصار لصيقا  
باسمه، يذكر معه أينما ذكر<sup>(٣)</sup>.

ولم نقف مكانة الرماني العلمية عند النحو والاشتغال به، فالتحول لم  
يكن هدفا له، ولا غاية يسعى إليها، ويقفى الصمغ فيها، وإن كان وسيلة من  
مسائل الشقافة العديدة، التي تعينه على فهم كتاب الله الكريم، وإدراك  
أغراضه، ومعرفة مرامييه، والتوقف على أسرارِهِ.

فإلى جوار النحو اشتغل بالفقه وألف فيه، وباللغة ومسائلها، وبالمنطق،  
وأدب الجدل، وعلم الكلام على مذهب المعتزلة، وصنف في كل ذلك عددا  
من الكتب.

وحسبه أن يقول عنه تلميذه أبو حيان التوحيدي إنه: «لم ير مثله قط  
بلا تقيه ولا تحاش ولا استمزاز ولا استيحاش، علما بالنحو وغزارة في الكلام،  
وبصرا بالمقالات، واستخراجا للمعوص، وإيضاحا للمشكل»<sup>(٤)</sup>.

(١) نزعة الألبا - ص ١٨٩.

(٢) طبقات الداودي ص ١٧٦ ب. طبقات ابن شهاب ج ٢ ص ١٧٤. بنية الوعاء ج ٢ ص ١٨٠.  
مفتاح السعادة ج ١ ص ١٧٥.

(٣) سنعود مرة أخرى إلى هذا الموضوع عند الحديث عن أسلوبه.

(٤) المقابسات ص ٥٧.

بلاغته وعرضها في الباب الثاني من هذا البحث.

وإن الناظر في مؤلفات الرماني - وأكثرها ضائع - سيجد غلبة القرآن عليها أيضاً، فمن الكتب المستقلة التي خصها بدراسة القرآن، بالإضافة إلى تفسيره وإلى كتاب «النكت»:

١- إعجاز القرآن، ومنعقد عنه حديثاً تفصيلياً سيأتي في مكانه من هذا الباب.

٢- المختصر في علم السور القصار.

٣- المتشابه في علم القرآن.

٤- جواب ابن الإخشيد في علم القرآن.

٥- غريب القرآن.

٦- جواب مسائل طلحة في علم القرآن.

٧- مسائل أبي علي بن الناصر في علم القرآن.

وهناك كتب أخرى لا تحمل عنواناً صريحاً كهذه الكتب، وإن كان من الممكن أن توحى عناوينها بأنها تدور حول القرآن الكريم.

### مكانته العلمية

بعد الرماني من معالم القرن الرابع الهجري البارزة، فلقد كان عالماً فاضلاً، متسكناً من مادته العلمية، متقناً لعدد من العلوم والمعارف، التي وضعها في خدمة ثقافته القرآنية، ولم يقتصر الرجل على معرفة ما أتبع له من العلوم والمعارف، واستيعابها لها، ولكنه كان قد أولى عقلاً فذاً يكتشف به الجديد الذي يضيفه إلى العلوم قبورها وينمبها، ولقد ترك الرجل لنا حوالى مائة كتاب، لم يبق لنا يد الزمن من أكثرها إلا أسماءها وشذرات هنا وهناك، وبقي من كتبه عدد لا ينفى غلته، ولا يروى ظمأ؛ لأنه يعجز عن أن يعطينا المكانة العلمية الحقيقية التي يتمتع بها الرجل.

ولقد شهد للرماني بمكانته العلمية كثير من الذين ترجموا له، وأرخوا لحياته، وتحدثوا عن علمه وكتبه؛ فالزبيدي مثلاً يضعه في الطبقة العاشرة من طبقات النحويين البصريين، من أصحاب أبي بكر بن السراج، مع أبي علي القارمي وأبي سعيد السيرافي<sup>(١)</sup>.

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٠.



ولم يتوقف نشاط الرمانى عند دراسة العلوم وفهمها، والإضافة إليها، والتصنيف لنبها، ولكنه كان كذلك أستاذاً ومعلماً، يجلس إليه تلاميذه النجباء، لينهلوا من ورده، ويغترفوا من فيضه، ولينبروا قلبهم وعقولهم من نور علمه ومعرفته، ولقد تخرج على يد الرمانى عدد كبير من مشهورى العلماء، الذى شاركوا فى حركة الثقافة العربية مشاركة كبيرة<sup>(١)</sup> ولقد كان الرجل يخف إلى المناقشة والجدل، ليحلى الحقيقة أو يدحض الشبهة، فبصو وبعول حتى يفهم الخصم، ولا عجب فى ذلك، فهو صاحب مذهب كلامى ملا عليه شفاف قلبه، وتمكن من عقله، وهذا المذهب صناعته الجدل، ومجاله الذى يبرز فيه هو المنطق، وغايته إثبات أن المبادئ التى يقوم عليها هى الحق، ولقد ترك لنا الرمانى عدداً من الكتب - عدا المناقشات التى كان يحضرها بنفسه - يرد فيها على بعض المسائل التى ترد إليه، أو المسائل التى يرى أن صاحبها فى حاجة إلى مناقشة، لأن هذا الرأى لا يتفق مع ما يؤمن أنه الحق.

### أبواب

روى أن أبا على الفارسى قال: إن كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا منه شيء وإن كان ما نقوله نحن فليس معه منه شيء<sup>(٢)</sup>. وقال بعض أهل الأدب: كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئاً، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض، ومنهم من نفهم جميع كلامه.

فأما من لا نفهم من كلامه شيئاً فأبو الحسن الرمانى.  
وأما من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو على الفارسى.  
وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافى<sup>(٣)</sup>.  
ويروى أبو حيان التوحيدى فى البصائر والذخائر ما يأتى:  
قال المتكلمون عن الرمانى: ليس فيه فى الكلام فتنة.

(١) نحدثنا عن هذا الموضوع عندما تعرضنا لتلاميذه.  
(٢) نزوة الألباء، ص ١٨٩، إشارة التعيين ورقه ٣٤، طبقات الداودى ورقه ١٧٦، معجم الأدياء.  
جدا ١ ص ٧٤.  
(٣) نزوة الألباء، ص ١٨٩، ١٩٠، معجم الأدياء، جدا ١ ص ٢٧.

وقال النحويون عنه: ليس شأنه في النحو شأننا.

وقال المنطقيون عنه: ليس ما يزعم أنه منطق منطوقا عندنا<sup>(١)</sup>.

وفي معجم الأدباء، نقلا عن أبي حيان التوحيدي، أن رجلا من هرو جاء في مجلسه، وسأله عن الفرق بين «من» و«م» وبين «من» و«ما» فأوسع الرماني له الكلام، وبين، وقسم، وفرق، وحدد، ومثل، وعلق كل شيء منه بشرطه، ولم يفهم السائل شيئا، فاستعاده، فأعاد مرارا، ولم يفهم الرجل، فقال له: أيها الرجل: يلزمني أن أبين للناس وأصور لمن ليس بناعس وما على أن أفهم إليهم والشعر والدهم، مثلك لا يتصور هذه المسألة بهذه العبارة وهذه الأمثلة، فإذا أرحنا ونفسنا فذاك، وإلا فقد حصلنا معك على الهلاك، قم إلى مجلس آخر ووقت غير هذا.

فأسمعه الرجل ما ساء الجماعة، وقام الناس يضربونه، فمنعهم من ذلك، ودفعهم عنه، فخرج الرجل ذليلا مهانا، فالتفت إلى أبي الحسن الدقاق وقال له: متى رأيت مثل هذا فلا يكون منك إلا التؤدة والاحتمال، وإلا فتصير نظيرا لخصمك، وتعلم في الوسط فضل التمييز، وأنشأ يقول:

ولولا أن يقال هجاء نمبرا ولم يسمع لشاعرها جوابا  
رغبنا عن هجاء بني كليب وكيف يثائم الناس الكلابا<sup>(٢)</sup>

وقبل أن تناقش أسلوب الرماني بناء على هذه العرويات، نرد على تساؤل هنا قد يطرح نفسه، أو اعتراض قد يلقي به بعض المشتغلين بالبحث والدروس، ذلك أنه قد يقال: إن هذه المرويات تنطلق بمذهب النحوي، أو مذهب الكلامي، أو المنطقي، وبالتالي فإنها لا تتصل بأسلوب الرجل من قريب بعيد، حتى نتوسع لأنفمنا أن تناقش على صوابها أسلوبه.

ونحن نقول إن اختلاف المذهب، أو اختلاف الرأي في مسائل العلم ضرور من ورائه، بل إن من مصلحة العلوم أن تختلف الآراء فيها، ما لم يه بعضنا إلى حد الإغراب أو التعمية، فإنه حينئذ يخرج تماما عن العلم، وعلم من العلوم النظرية يمكن أن يسير على وتيرة واحدة فتلتقي فيه

الآراء ولا يكون فيها اختلاف؟

إن العلوم النظرية لا بد فيها من اختلاف الآراء، وتباين وجهات النظر، وهذا أمر لا يشك منه أحد لأنه أمر طبيعي، فلا بد إذن من أن تكون هذه الشكوى منصبة على طريقته في العرض والتحليل، أي على أسلوب الرجل في دوسه وكتابته، ومن هنا جاز لنا أن نعد هذه الروايات متصلة اتصالاً وثيقاً بأسلوبه.

والذي يتأمل هذه الروايات الكثيرة التي نقلناها هنا يرى أنها تلتقى كلها عند شيء واحد، هو أسلوب الرمانى، والتواؤم، وتعميقه، حتى يتأبى على الفهم، وحتى يبدل من يريد أن يقف على مدلوله ومغزاه شيئاً غير قليل من الجهد والمثارة، يستوى في هذا أسلوبه في الدرس والتعليم، كما يصوره لنا موقف الرجل الذى جاءه من مروى يسأله عن مسألة في النحو، والتي رواها منذ قليل، وأسلوبه في الكتابة، كما توصل إلى ذلك الدكتور مازن المبارك فى رسالته عن «الرمانى النحوى»، وكما سنقول عن الرمانى نفسه هنا ما يؤيد ذلك، وكأننا أحس الرمانى بأن أسلوبه غامض ومعقد، فقال للرجل: إن مثله في بعضهم هذه المسألة بهذه العمارة، وأرشدته إلى مجلس آخر ووقت آخر، فقد رجعته بغيره، ويعثر على جواب لسألته، يفهمه من غير مراجعة ولا استعادة كما حدث معه.

كما نلاحظ أن الطعن فى طريقته وأسلوبه كان يتركز فى ثلاثة علوم:

النحو والمنطق والكلام

أما للمنطق فإن أبا حيان التوحيدي يكفينا أمر تفسير هذه الشكوى منه وأسبابها، فيقول:

«وأما على بن عيسى فعلى الرتبة فى النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق، وعيب به، إلا أنه لم يملك طريق واضح المنطق، بل أقرد صناعة وأظهر براعة»<sup>(١)</sup>.

وربما كانت طريقته الجديدة فى المنطق، أحسن من طريقة واضح

(١) الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٢٢.

المنطق، وربما كانت أسوأ، فليس بين أيدينا من مؤلفاته الكثيرة ما يجعلنا نحكم لها أو عليها، ولكنها على أى حال مخالفة لما تعارفه الناس، والمخالفة توحى دائما بالذم عند أصحاب الصناعة - حتى وإن كانت هذه المخالفة نحو الأحسن - وهذا ما حذا بأهل المنطق أن يقفوا منه هذا الموقف، ولما كان المنطق وسيلة من وسائل علم الكلام فإن الرماني - وله في المنطق أسلوب جديد - ربما أدخل هذا الأسلوب الجديد في صناعة الكلام، وأقحمه في الاعتزال، وربما كان هنا ما دفعهم إلى أن يقولوا عن طريقة الرماني في الكلام ما قالوا.

أما النحو فعلى الرغم من أننا نستطيع أن نطعن في مقالة الفارسي وذلك بالبحث عن دوافعها وأسبابها<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم من أننا نستطيع أن نطعن في فهم الرجل، الذي جاء من مرو يسأله عن مسألة نحوية<sup>(٢)</sup>، إلا أن كثرة الشكوى من أسلوبه تكاد يعصد نهمة القدماء لأسلوبه، وطريقته في العرض والتحليل.

وأبادر فأقرر أنني لم أتمكن من الوقوف على ما تبقى من ثراث الرماني النحوي، وهو شرحه لكتاب سيويه، إلا أن دارس هذا الكتاب - وهو أقدر مني

(١) والفارسي إنما قال ما قال من أجل حنقه وغبطه على من تفوقوا عليه، ولم يكن موقفه من الرماني إلا مثلاً لواقفه من علماء عصره المبرزين. يقول أبو حيان التوحيدي «وأما أبو علي فأنشد نفردا بالكتاب، وأنشد إكبابا عليه من كل ما عدا عما هو علم الكوفيين، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد، وأطراف ما لغيره، وهو متقن بالفيض على أبي سبيل وبالحسد له، كيف تم له تفسير كتاب سيويه من أوله إلى آخره، بغريبه وأمثاله، وشواهد وأبيانه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)؛ لأن هذا شيء ما تم للمفرد، ولا للزجاج، ولا لابن السراج، ولا لابن درستويه، مع سعة علمهم وقبض كلامهم، ولأبي علي أطراف من الكلام أجاد فيها ولم يأتل، ولكنه قعد على الكتاب (يعني كتاب سيويه) على النظم المعروف (الإمتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٣١). فإذا كان الفارسي يتقن غيظاً على السبراني لأنه قسر كتاب سيويه؛ من أوله إلى آخره، فكيف يكون موقفه من أخرج عدداً من الكتب حول كتاب سيويه منها الشرح الذي ذهب بعضهم إلى أنه يقع في سبعين جزءاً؟ إن هذه السجية في أبي علي يمكن أن نقوض مقالته في الرماني ولا تجعل لها قيمة علمية تذكر.

(٢) ذلك أن هذا الرجل ليس واحداً من التلاميذ. وبعد وأنه أعجمي يريد أن يتعلم العربية. فلما يبدأ الطريق من أوله. وإن لم يكن كذلك فإنه من المحتمل أن يكون واحداً من عامة تاذين يروون على مجالس العلم مروء الكرام. فلا يقفون عندها. ولا يسألون منها. وكيف تتطلب مسألة كهذه كل هذا الشرح والتوضيح. وبطل عقل الرجل مغلقة! ألا بدله ذلك علي غيابة؟

حكما على أسلوبه النحوي يحكم تخصصه فيه وكثرة إلفه له - قد انتهى إلى نتيجة في أسلوبه، تتفق مع رأى القدماء فيه، أو نقاربها، وما ذكرها بعد قليل. وإذا كانت عبارة الفارسي قد فاعت وشاعت، فإنها قد أتاحت الفرصة للعلماء والدارسين، قدامى ومحدثين، ليتناولوها بالتعليق عليها وشرحها، فمنهم من أصاب الحقيقة أو اقترب منها، ومنهم من ابتعد عنها، ومنهم من قال كلاما لا يخدم الحقيقة العلمية في كثير ولا قليل.

ففى القديم غلق السيوطي على عبارة الفارسي بقوله: «التحوى ما يقوله الفارسي»، ومتى عهد الناس أن النحو يمزج بالمنطق، وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما، ومن بعدهما بدهر، لم يعهد فيها شيء من ذلك<sup>(١)</sup> ومن السيوطي انتقل هذا التعليق إلى كتب المتأخرين، أمثال الداودي في طبقاته<sup>(٢)</sup> وطائش كبرى زاده في مفتاح السعادة<sup>(٣)</sup>.

فلما والسيوطي رجال واسع الاطلاع على ما انتهى إلى عصره من تراث القدماء، وشو كثيرا ما ينقل عن هذا التراث وهو يؤلف ويكتب، ونحن نحسن الظن به، فنقدر أنه لم يقل ما نقلناه عنه هنا إلا بعد خبرة بأسلوب الرجلين، وطريقة عرض كل منهما لمسائل النحو، وتحليله لها، وإلا بعد أن وزن بينهما.

ومن التعليقات المصححة على عبارة الفارسي ما يقوله الأستاذ حسن السعدوي<sup>(٤)</sup> والمسألة هي أن الرماني كان يرمي على القضايا المنطقية بالعلل النحوية ويعمل قواعد النحو بالقضايا المنطقية<sup>(٥)</sup> فإذا كان الجزء الأخير من هذا التعليق متفقاً مع انتهى إلينا من القدماء، وخاصة ما قاله السيوطي، فأين على القضايا المنطقية التي كان يرمي عليها بالعلل النحوية؟ وكيف يرمي على قضايا المنطق بعلل النحو؟ وهل أطلع سيادته على قضية واحدة من هذه القضايا قبل أن يقول ما قال؟ إن من أوجب الواجبات على الدارس والباحث أن يحقق المسألة قبل أن يدلي فيها برأيه، فإن لم يجر رأيه صواباً فإنه سيكون أدنى إليه، وإلا فإنه سيكون له سند بني رأيه عليه على أقل التقديرات حتى لو

(٢) طبقات الداودي رده ١٧٦ ب.

(٤) تائش من ٥٧ من المقابسات.

(١) بقية الرواة ج ٢ ص ١٨١.

(٢) مفتاح السعادة ج ١ ص ١٧٥.



كان رأيه بعيداً عن الصواب، أما أن يقول رأياً من غير سند فهذا ما لا يقبل أبداً.

على أن أحد الدارسين المعاصرين، أراد أن يدافع عن أسلوب الرماني، بعد بحث ودراية، ومقارنة أسلوب الرماني بأسلوب الفارسي نفسه، حتى يكون حكمه منصفاً، ومتفقاً مع روح البحث العلمي لبتزيه، وهذا أسلوب في الدرس تحترمه، ومنهج في البحث نقدره، ونتمنى أن يلتزم به الباحثون والدارسون، حتى تكون أحكامهم قريبة من الصواب - إن لم يقدر لها أن تصل إليه - ولكن بعد أن بذل الرجل ما بذل، وبعد أن وصل إلى نتائج هي في ص " الرماني على طول الخط، بل تقوض مقالة الفارسي من أساسها، تبين مقدماته التي بنى حكمه عليها ليست صحيحة، فانهيار حكمه هذا، وفقد كل قيمة له (١٢).

ذلكم الدارس هو الأستاذ سعيد الأفغاني، حيث يقول في مقدمته لكتاب «توجيه إعراب أبيات ملفزة الإعراب» تعليقاً على عبارة الفارسي ما نصه: «وكننت أحفظها من سنين طويلة، فلما قرأت للرماني والفارسي وجدت الأول أسهل مذهباً، وأوضح عبارة في معاني النحو من الفارسي نفسه، فحسنتها على النكتة والمبالغة، وأنا على ذلك حتى أطلع من كتب الرماني على ما تصدق فيه كلمة الفارسي، بل خطر لي أن ذلك كان من الفارسي إثر مناظرة بينهما، والرماني كثير الفنون متعدد الأدوات، والمناظر جوال، على حين المؤلف أو المدرس لفرن يقتصر على ميدان واحد، فلعل الفارسي قصر في الأنواط، التي جره إليها الرماني في غير ميدانه» (١٣).

أما المقدمة الخاطئة التي بنى حكمه عليها، فهو أنه اعتقد أن هذا الكتاب - الذي حققه، يعد أن أحضر مخطوطته من باريس، وكتب له هذه المقدمة الطويلة - للرماني، بل إنه نشره في الطبعة الأولى على أنه للرماني، ولكن الذي تبين بعد ذلك أن هذا الكتاب ليس له، وإنما هو للقارقي، وبهذا

(١١) وله أيضاً أحكام أخرى تعلق بكتاب الحروف للرماني، فقدت أيضاً قيمتها، لأنه بناها على المقدمات نفسها.

(١٢) مقدمة «توجيه إعراب أبيات ملفزة الإعراب» ص ١٣.

حكما على أسلوبه النحوي بحكم تخصصه فيه وكثرة إلقائه - قد انتهى إلى نتيجة في أسلوبه، تتفق مع رأى القدماء فيه، أو تقاربها، وسأذكرها بعد قليل. وإذا كانت عبارة الفارسي قد فاحت وشاعت، فإنها قد أتاحت الفرصة للعلماء والدارسين، قدامى ومحدثين، ليتناولوها بالتعليق عليها وشرحها، فمنهم من أصاب الحقيقة أو اقترب منها، ومنهم من ابتعد عنها، ومنهم من قال كلاما لا يخدم الحقيقة العلمية في كثير ولا قليل.

نفى القديم علق السيوطي على عبارة الفارسي بقوله: «النحو ما يقوله الفارسي، ومتى عهد الناس أن النحو يعجز بالمنطق، وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما، ومن بعدهما يدهر، لم يعهد فيها شيء من ذلك»<sup>(١)</sup> وعن السيوطي انتقل هذا التعليق إلى كتب المتأخرين، أمثال الداودي في طبقاته<sup>(٢)</sup> وطاش كبرى زاده في «مفتاح السعادة»<sup>(٣)</sup>.

هذا والسيوطي رجل واسع الاطلاع على ما انتهى إلى عصره من ثراث القدماء، وهو كثيرا ما ينقل عن هذا التراث وهو يؤلف ويكتب، ونحن نحسن الظن به، فنقدر أنه لم ينقل ما نقلناه عنه هنا إلا بعد خبرة بأسلوب الرجلين، وبطريقة عرض كل منهما لمسائل النحو، وتحليله لها، وإلا بعد أن وازن بينهما.

ومن التعليقات المضحكة على عبارة الفارسي ما يقوله الأستاذ حسن السندوي «والمسألة هي أن الروماني كان يبرهن على القضايا المنطقية بالعلل النحوية ويعلل قواعد النحو بالقضايا المنطقية»<sup>(٤)</sup> فإذا كان الجزء الأخير من هذا التعليق متفقا مع انتهى إلينا من القدماء، وخاصة ما قاله السيوطي، فإين هي القضايا المنطقية التي كان يبرهن عليها بالعلل النحوية؟ وكيف يبرهن على قضايا المنطق بعلل النحو؟ وهل أطلع سيادته على قضية واحدة من هذه القضايا قبل أن يقول ما قال؟ إن من أوجب الواجبات على الدارس والباحث أن يحقق المسألة قبل أن يدلي فيها برأيه، فإن لم يجد رأي صوابا فإنه سيكون أدنى إليه، وإلا فإنه سيكون له مندبى رأيه عليه على أقل التقديرات حتى لو

(٢) طبقات الداودي ورقه ١٧٦ ب.

(٤) طاش من ٥٧ من المقابسات.

(١) بنية الرعاية ج ٢ ص ١٨١.

(٣) مفتاح السعادة ج ١ ص ١٧٥.

كان رأيه بعيدا عن الصواب، أما أن يقول رأيا من غير سند فهذا ما لا يقبل أبدا.

على أن أحد الدارسين المعاصرين، أراد أن يدافع عن أسلوب الرمانى، بعد بحث ودراسة، ومقارنة أسلوب الرمانى بأسلوب الفارسى نفسه، حتى يكون حكمه منصفا، ومتفقا مع روح البحث العلمى لبتزير، وهذا أسلوب فى الفرس نَحْتَرَمُهُ، ومنهج فى البحث نَقْدُهُ، وتسمى أن يلتزم به الباحثون والدارسون، حتى تكون أحكامهم قريبة من الصواب - إن لم يقدر لها أن تصل إليه - ولكن بعد أن بذل الرجل ما بذل، وبعد أن وصل إلى نتائج هى فى حدِّها - الرمانى على طول الخط، بل تقوض مقالة الفارسى من أساسها، تبين مقدماته التى بنى حكمه عليها ليست صحيحة، فانهار حكمه هذا، وفقد كل قيمة له<sup>(١)</sup>.

ذلكم الدارس هو الأستاذ سعيد الأفغانى، حيث يقول فى مقدمته الكتاب «توجه إعراب أبيات ملفزة الإعراب» تعليقا على عبارة الفارسى ما نصه: «وكتبت أحفظها من سنين طويلة» فلما قرأت للرمانى والفارسى، وجدت الأول أسهل مذهبا، وأوضح عبارة فى معانى النحو من الفارسى نفسه، فحصلتها على النكتة والمبالغة، وأنا على ذلك حتى أطلع من كتب الرمانى على ما تصدق فيه كلمة الفارسى، بل خطر لى أن ذلك كان من الفارسى إثر مناظرة بينهما، والرمانى كثير القسوس متعدد الأدوات، والمناظر جوال، على حين المؤلف أو المدرس لئن يقتصر على ميدان واحد، فلعل الفارسى يقصر فى الأشواط، التى جره إليها الرمانى فى غير ميدانه<sup>(٢)</sup>.

أما المقدمة الخاطئة التى بنى حكمه عليها، فهو أنه اعتقد أن هذا الكتاب - الذى حققه، بعد أن أحضر مخطوطته من باريس، وكتب له هذه المقدمة الطويلة - للرمانى، بل إنه نشره فى الطبعة الأولى على أنه للرمانى، ولكن الذى تبين بعد ذلك أن هذا الكتاب ليس له، وإنما هو للفارفى، وبهذا

(١) وله أيضا أحكام أخرى تعلق بكتاب المحرر الرمانى، لقدت أيضا قبستها، لأنه بناها على المقدمات نفسها.

(٢) مقدمة «توجه إعراب أبيات ملفزة الإعراب» ص ١٣.

فقد هذا الحكم قيمته، بل فقد كل حكم بناء على أساس أن هذا الكتاب  
للرماني قيمته كذلك.

وبعد هذا التطواف أرى من الواجب على أن أنقل هنا تبجتيين من نتائج  
رسالة الدكتوراه التي أعدها الدكتور مازن المبارك عن «الرماني النحوي في  
نبوء شرحه لكتاب سيبويه» تمضدان ما سبق من تعليقات وأحكام، يقول:  
«وأما أسلوب العرض أو طريقته، وهو الجديد عند الرماني، فأسلوب معقد،  
يحتاج لإدراكه إلى جهد عقلي مركز، وليس ما قيل عن الرماني من أنه ليس  
عنده من القحوش ومن أن كلامه لا يفهم، أكثر من فقد يوجه إلى هذا  
الأسلوب»<sup>(٢١)</sup>.

وهذه هي النتيجة الثامنة من نتائج البحث، أما النتيجة التاسعة فهي:  
«يتضح أثر المنطق في نحو الرماني في قالب العام للبحث عنده، ذلك  
القالب المنطقي المحكم العقد، الذي تتسلسل أجزاؤه، مترابطة فيما بينها من  
ناحية، ومرتبطة بالمعنى العام من ناحية أخرى، كما يظهر أثر المنطق أيضاً في  
استعماله للألفاظ المنطقية، ووضعه للمحدود، ونجده للمعاني، وفي تقسيماته  
وتفصيلاته، وما سارت عليه من تدويع، من الكلي إلى الجزئي»<sup>(٢٢)</sup> ونحن نقدر  
هاتين النتيجةين ونحترمهما لأمرين:

الأول: أنها تتفق مع ما ورد إلينا من القدماء عن أسلوبه وطريقته.

الثاني: أنها جاءت منه بعد طول معايشة لأسلوبه النحوي، وهذا يعني أنه عانى  
شخصياً منه ما عانى، ومن هنا ساع له أن يقول ما قال.

على أنني بعد هذا كله أقدر أنني حينما اطلعت على الجزأين الباقيين  
من تفسيره<sup>(٢٣)</sup> وجدته يمرض لمسائل النحو وقضاياها في أسلوب لا إغراب فيه  
ولا تعقيد، مع أن تفسيره ملئ بالنحو ومسائله، حتى إننا إذا تجاوزنا قليلاً وقلنا  
إن تفسيره نحوي لم تبعده، ولذلك فأنا أعجب وأساءل:

(٢١) الرماني النحوي في شرحه لكتاب سيبويه ص ٣٤٠.

(٢٢) ما يذكر أنني اطلعت على كل ما بقي من تراث الرماني للخطوط منه والمطبوع ما عدا شرحه  
لكتاب سيبويه.

فى فهم عبد القاهر، وما هذا إلا لعدم وضوح أسلوبه فى هذه المسائل التى  
اختلفوا فى فهم مراده منها، وكثيرا ما رأينا بعض الباحثين يعلنون أن عبد  
القاهر لم يفهمه أحد، وأن الفهم الصحيح له هو كذا وكذا، وهل كان ذلك  
إلا بسبب أسلوبه؟

وإذا كان ذلك أمرا عاما فى أساليب كل العلماء فلماذا نعيب به  
الرماني؟

لو أن مثل المسائل التى شكنا منها الدكتور كانت طابعا عاما عنده  
لصحت الشكوى، ولكن لها أساس ومصدر، لكن الدكتور نفسه يقر بأنه يتجافى  
عن هذا الأسلوب الصحيح فى بعض ما تعرض له من الشرح البياني، وهذا  
وحده كاف فى أن نقر للرماني بما وصل إليه فى معالجة البيان القرآنى، من  
وضوح الأسلوب، ونصاعته وسلامته.

### ثالثا

عاش الرماني حياة طويلة قاربت التسعين عاما، قضاها فى رحاب العلم  
والمعرفة، طالبا، وأستاذا، وباحثا، ومؤلفا، ومناظرا، وفارسا حلبة فى النقاش  
والجدل، فكانت ثمرة هذا كله عددا ضخما من المؤلفات والمصنفات، فى  
مختلف فروع المعرفة، من فقه وتفسير واعتزال ونحو ومنطق وقراءات وفلك،  
ولكن هذا التراث الضخم - مع شديد الأسف - لم يبق لنا منه إلا أسماء لا  
وجود لتسمياتها، وعدد قليل من مؤلفاته التى أفلتت من عوامل الإهمال  
والنسيان، بعضها عرف طريقه إلى التحقيق والنشر، وبعضه لا يزال مطمورا فى  
عالم المخطوطات، وتعد هذه المؤلفات الباقية - على قلتها - دليلا على عظمة  
هذا الرجل فيما تناوله من علوم، ومدى ما أضافه إلى تراثنا، وكيف أنه  
يستحق بجدارة أن يكون أحد الرواد العظام الذين تركوا بصماتهم على الثقافة  
العربية، ولا تدرى ماذا كان يمكن أن تكون صورة الرماني عند المؤرخين  
القدامى، والباحثين المعاصرين، لو أن كل مؤلفاته - أو معظمها - وصل إلينا؟  
إن الناظر إلى قائمة مؤلفاته، والمطلع على عناوينها، يدرك مدى تشعب  
الموضوعات التى كتب فيها.

ونحن هنا لن نثبت هذه المؤلفات مادما لا نستطيع أن نلقى عليها  
الفتوى؛ لأن ذلك عمل يصبح غير ذى موضوع، خاصة أن هناك من قام  
مشكورا بإحصاء هذه المؤلفات، وإثباتها فى قائمة مستقلة، مقسمة على فروع



المعرفة التي ينتمى إليها المصنف<sup>(١)</sup>، ولما كان اعتمادهم في معرفة مضمون الكتاب على العنوان فقط فإن تقديراتهم لموضوعات بعض الكتب جاءت مختلفة بعض الشيء. ولقد فُتت أنا أيضا باستجاء هذه العناوين عندما ذكرت بعض هذه الكتب في المناسبات التي تطلبت ذكرها، وأرجو أن أكون قد وفقت في معرفة مضامين هذه الكتب من عناوينها.

وحسبي هنا أن أشير إلى أن مؤلفاته تجاوزت مائة كتاب ورسالة صغيرة، وأن بعض هذه المؤلفات قد بلغ قدرا كبيرا من الضخامة كتفسيره، وأن بعضها الآخر لم يتجاوز عددا قليلا من الصفحات، كما تجدر الإشارة هنا إلى ما ذكره بعض المؤرخين من أن أكثر ما كان يصنفه كان يؤخذ عنه إملاء<sup>(٢)</sup>.

وأنا سأذكر هنا من كتبه ما أستطيع أن ألقى ولو قدرا ضئيلا من الضوء عليه، لكنني سأتوقف كثيرا أمام تفسيره، لأنني رأيت أن كل ما كتب عنه كان قد بنى على مقدمات خاطئة، أو على فروض وهمية لا وجود لها في عالم الحقيقة الواقعية، وهذا وذلك لا يؤدي إلى نتيجة صحيحة.

ولكنني قبل أن ألقى الضوء على بعض مؤلفاته يجدر بي أن أشير إلى أنه قد نسب للرماني كتاب اسمه «توجيه إعراب أبيات ملفزة الإعراب»<sup>(٣)</sup> وأن الأستاذ سعيد الأفغاني قد أحضره من باريس وحققه، وكتب له مقدمة نفيسة عن الرماني، ثم تبين بعد ذلك أن هذا الكتاب ليس للرماني، وإنما هو لوالحد من رجال القرن الخامس الهجري اسمه «أبو نصر الحسن بن أسد القارعي» وقد توفي هذا الرجل سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وأن اسم الكتاب الحقيقي هو «الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب»، وقد نشره الأستاذ الأفغاني مرة ثانية، بعد أن غير المقدمة الأولى عن الرماني، وكتب له مقدمة ثانية عن المؤلف الحقيقي للكتاب، ونشره باسمه الحقيقي الذي ظهر بعد ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) من الذين قاموا بهذه المهمة: الأستاذ / سعيد الأفغاني في مقدمة كتاب «توجيه إعراب أبيات ملفزة الإعراب»، والدكتور / مازن المبارك في رسالته «الرماني التحوي في ضوء شرحه لكتاب سيومه» والدكتور / عبد الفتاح شلي في مقدمة كتاب «معاني الحروف» للرماني.

(٢) إنباء الرواة ج ٢ ص ٢٩٤، ٢٩٥. (٣) ممن نسب إليه هذا الكتاب بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ص ١٨٩. (٤) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب منسوبا إلى الرماني.

تحت اسم «توجيه إعراب أبيات ملفزة الإعراب» في دمشق سنة ١٩٥٨م. وصدرت الطبعة الثانية منه باسمه الحقيقي ومنسوبا لمؤلفه الحقيقي، في ليبيا، عن منشورات جامعة بني غازي سنة ١٩٧٤م.

فى فهم عبد القاهر، وما هذا إلا لعدم وضوح أسلوبه فى هذه المسائل التى  
اختلفوا فى فهم مراده منها، وكثيرا ما رأينا بعض الباحثين يعلنون أن عبد  
القاهر لم يفهمه أحد، وأن الفهم الصحيح له هو كذا وكذا، وهل كان ذلك  
إلا بسبب أسلوبه؟

وإذا كان ذلك أمرا عاما فى أساليب كل العلماء فلماذا نعيب به  
اليرماني؟

لو أن مثل المسائل التى شكنا منها الدكتور كانت طالبا عاما عنده  
لصحت الشكوى، ولكن لها أساس وسند، لكن الدكتور نفسه يقر بأنه يتحافى  
عن هذا الأسلوب الصحيح فى بعض ما تعرض له من الشرح البياني، وهذا  
يخبره كافى أن نقر لليرماني بما وصل إليه فى معالجة البيان القرآنى، من  
وضوح الأسلوب، ونصاعته وسلاسته.

### تكملة

عاش اليرماني حياة طويلة قاربت التسعين عاما، قضاهما فى رحاب العلم  
والمعرفة، طالبا، وأستاذا، رباحا، ومؤلفا، ومناظرا، وفارسا حلبة فى النقاش  
والجدل، تكاثرت نمرة هذا كله عددا ضخما من المؤلفات والمصنفات، فى  
مختلف فروع المعرفة، من فقه وتفسير واعتزال ونحو ومنطق وقراءات وفلك،  
ولكن هذا التراث الضخم - مع شديد الأسف - لم يبق لنا منه إلا أسماء لا  
وجود لمصنفاتها، وعدده قليل من مؤلفاته التى أفلتت من عوامل الإهمال  
والنسيان، بعضها عرف طريقه إلى التحقيق والنشر، وبعضه لا يزال مطمورا فى  
عالم المخطوطات، وتعد هذه المؤلفات الباقية - على قلتها - دليلا على عظمة  
هذا الرجل فيما تناوله من علوم، ومدى ما أضافه إلى تراثنا، وكيف أنه  
يستحق بجدارة أن يكون أحد الرواد العظام الذين تركوا بصماتهم على الثقافة  
العربية، ولا ندرى ماذا كان يمكن أن تكون صورة اليرماني عند المؤرخين  
القلمى، والباحثين المعاصرين، لو أن كل مؤلفاته - أو معظمها - وصل إلينا؟  
إن الناظر إلى قائمة مؤلفاته، والمطلع على عناوينها، يدرك مدى تشعب  
الموضوعات التى كتب فيها.

وتحس هنا لن نثبت هذه المؤلفات مادامنا لا نستطيع أن نلقى عليها  
الضوء، لأن ذلك عمل يصح غير ذى موضوع، خاصة أن هناك من قام  
بشكروا بإحصاء هذه المؤلفات، وإثباتها فى قائمة مستقلة، مقسمة على فروع

المعرفة التي ينتمى إليها المصنف<sup>(١)</sup>، ولما كان اعتمادهم في معرفة مضمون الكتاب على العنوان فقط فإن تقديراتهم لموضوعات بعض الكتب جاءت مختلفة بعض الشيء. ولقد فمت أنا أيضا باستيحاء هذه العناوين عندما ذكرت بعض هذه الكتب في المناسبات التي تطلبت ذكرها، وأرجو أن أكون قد وفقت في معرفة مضامين هذه الكتب من عناوينها.

وحسبى هنا أن أشير إلى أن مؤلفاته تجاوزت مائة كتاب ورسالة صغيرة، وأن بعض هذه المؤلفات قد بلغ قدرا كبيرا من الضخامة كتفسيره، وأن بعضها الآخر لم يتجاوز عددا قليلا من الصفحات، كما تجدر الإشارة هنا إلى ما ذكره بعض المؤرخين من أن أكثر ما كان يصنفه كان يؤخذ عنه لإملاء<sup>(٢)</sup>.

وأنا سأذكر هنا من كتبه ما أستطيع أن ألقى ولو قدرا ضئيلا من الضوء عليه، لكنني سأتوقف كثيرا أمام تفسيره لأنى رأيت أن كل ما كتب عنه كان قد بنى على مقدمات خاطئة، أو على فروض وهمية لا وجود لها في عالم الحقيقة رواقع، وهذا وذلك لا يؤدي إلى نتيجة صحيحة.

ولكنني قبل أن ألقى الضوء على بعض مؤلفاته يجدر بي أن أشير إلى أنه قد نسب للرماني كتاب اسمه «توجيه إعراب أبيات ملفزة الإعراب»<sup>(٣)</sup> وأن الأستاذ سعيد الأفغاني قد أحضره من باريس وحققه، وكتب له مقدمة نفيسة عن الرماني، ثم تبين بعد ذلك أن هذا الكتاب ليس للرماني، وإنما هو لوالحد من رجال القرن الخامس الهجري اسمه «أبو نصر الحسن بن أسد الفارقي» وقد توفي هذا الرجل سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وأن اسم الكتاب الحقيقي هو «الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب»، وقد نشره الأستاذ الأفغاني مرة ثانية، بعد أن غير المقدمة الأولى عن الرماني، وكتب له مقدمة ثانية عن المؤلف الحقيقي للكتاب، ونشره باسمه الحقيقي الذي ظهر بعد ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) من الذين قاموا بهذه المهمة: الأستاذ / سعيد الأفغاني في مقدمة كتاب «توجيه إعراب أبيات ملفزة الإعراب»، والدكتور / مازن الباروك في رسالته «الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيويه» والدكتور / عبد الفتاح شلي في مقدمة كتاب «معاني الحروف» للرماني.

(٢) «إنشاء الرواة» ج ٢ ص ٢٩٤، ٢٩٥. (٣) ممن نسب إليه هذا الكتاب بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ص ١٨٩. (٤) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب منسوبا إلى الرماني تحت اسم «توجيه إعراب أبيات ملفزة الإعراب» في دمشق سنة ١٩٥٨ م.

وصدرت الطبعة الثانية منه باسمه الحقيقي ومنسوبا لمؤلفه الحقيقي، في ليبيا، عن منشورات جامعة بني غازي سنة ١٩٧٤ م.

ولقد كانت نسبة الكتاب إلى الرماني سببا في أن الأسناد المحقق توصل  
إلى نتائج في أسلوب الرماني تقلب مقالة الفارسي الشهيرة رأسا على عقب،  
كما توصل إلى نتائج أخرى حول كتاب «الحروف» ولكن كل هذه النتائج  
تعبت سدى، بعد أن ظهرت حقيقة الكتاب وحقيقة مؤلفه، ولقد أشرت إلى  
هذه المسألة في مكانها من هذا البحث.

وسيكون حديثنا هنا عن كتب الرماني مقسما إلى ثلاثة أقسام:  
الأول: نتحدث فيه عن بعض الكتب المفقودة، والتي استطعنا أن نكون فكرة  
عنها.

الثاني: نتحدث فيه عن كتبه المخطوطة.

الثالث: نتحدث فيه عن كتبه المطبوعة.

أولا: من كتبه المفقودة:

١- إعجاز القرآن:

هذا الكتاب الذي نقل إلينا اسمه فقد مع معظم مؤلفات الرماني التي لم  
تبق عندها إلا أسماءها.

وقد كان من الممكن أن تقوم في بعض الأذهان شبهة حول هذا الكتاب  
بأنه، ونفترض أنه هو نفسه كتاب «التكت» في إعجاز القرآن، ولقد طاف  
هذا الكتاب بيني ذات مرة، إلا أنني وجدت السبوطي في «معترك الأقران»  
والزركشي في «البرهان» ينقلان صراحة عن هذا الكتاب، فلما رأيت هذين  
النهيين وروايتيهما مع ما جاء في التكت وجدت بعض الاختلاف.

أما النص الذي نقله الزركشي عن «إعجاز القرآن» للرماني فهو: قال وهو  
يتحدث عن الفواصل: «فأما مناسبة فواصل فلقوله تعالى «كتاب فصلت آياته»  
وأما تجتب أسجاع فلأن أصله من سجع الطير، فشرف القرآن الكريم أن يستعار  
لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من  
الكلام الحادث في اسم السجع، الواقع في كلام أحاد الناس، ولأن القرآن من  
صفات الله عز وجل، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى،  
ثم فرقوا بينهما فقالوا: السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يعمل المعنى عليه،  
والفواصل هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها، قاله الرماني في

كتابه «إعجاز القرآن» ونهى عليه أن الفواصل بلاغة والسجع عيب، وتبعه  
القاضي أبو بكر الباقلائي في كتابه «إعجاز القرآن»<sup>(١)</sup>.  
وأما النص الذي نقله السيوطي عنه فهو:

«قال الرماني في «إعجاز القرآن»: ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقول في  
القرآن سجع، وقرعوا بينهما بأن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يعال  
المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها، قال:  
ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيباً»<sup>(٢)</sup>.

وبمقارنة هذين النصين بما جاء في «النكت» حول هذا الموضوع  
أن النصوص الثلاثة لا تتفق في كل شيء، فكل ما هناك من اتفاق بينها  
التفرقة بين السجع والفواصل، وما يترتب على هذه التفرقة من جعل الفواصل  
بلاغة والسجع عيباً، ثم يتفق نص «البرهان» مع نص «النكت» في بيان مأخذ  
السجع، حيث ذكر في النكت أنه مأخوذ من سجع الحمامة؛ لأنه ليس في  
السجع إلا أصوات متشاككة، كما أنه ليس في سجع الحمامة إلا أصوات  
متشاككة»<sup>(٣)</sup>.

وجاء في نص «البرهان» المنقول عن الإعجاز سواء كان منقولاً بنصه ثم  
بمضمونه أن أصل السجع مأخوذ من سجع الطير، وهذا أعم مما جاء في  
«النكت» لأن الطير أعم من الحمام.

ثم يتفرد نص «البرهان» بعد ذلك بما يأتي:

- ١- أشار إلى سبب تسمية هذا اللون باسم الفواصل، حيث ذكر أن ذلك  
مأخوذ من نص القرآن الكريم في قوله تعالى: «كتاب فصلت آياته».
- ٢- أفاض في سبب تجنب إطلاق لفظ أسجاع على ما جاء في القرآن الكريم  
فذكر:

أ- أن القرآن أشرف من أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطير  
(وهذا قريب مما ذكر في النكت).

(٢) مشترك الأقران ج ١ ص ٣١.

(١) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٤.

(٣) النكت ص ٩٨.



ب- أن القرآن شريف من حيث ينسب إليه كرامة أحد الناس، في إطلاق اسم السجع عليه.

ج- أن القرآن من صفات الله عز وجل، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى.

ثم يفرد نص السيوطي ببيان مذهب الأشاعرة حول السجع.

وعلى الرغم من أن النصين منقولان من كتاب واحد كما صرح بذلك السيوطي والزر كنسي. وعلى الرغم من أن المسألة التي نقل النص منها واحدة فإننا نجد بين النصين بعض الفروق التي أشرنا إليها.

لكن هذه الفروق لا تجعل بين النصين تعارضاً بل على العكس من ذلك تجعلهما متكاملين.

أما لماذا لم يتحد النصان -كما تقتضي بذلك وحدة الموضوع ووحدة

الكتاب- ؟

نذلك لأن القدماء لم يكونوا يلتزمون بنقل النصوص كما هي وإنما كانوا يتصرفون في النقل فقد يأخذون بعض النص ويتركون بعضه، وقد يأخذون مضمون النص ويتولون صياغته بأنفسهم، حتى يتفق مع أسلوب الكتاب المنقول إليه النص.

بمقارنة هذين النصين ضمن «البرهان» و«مستدرك الأقران» نقلاً عن «عجاز القرآن» للبرهاني - بما جلي في «النكت» - نجد أن موضوع «الكتابين» «النكت والإعجاز» واحد، فكلاهما في الإعجاز والمعالجة واحدة، إلا أن أحدهما - وهو النكت - موجز، وأن الثاني - وهو إعجاز القرآن - فيه بسط وإيضاح، وشرح وتحليل، وربما كان ذلك راجعاً إلى طبيعة كل من الكتابين. فـ «النكت» كتب خاصة لمن مثله عن ذكر النكت في إعجاز القرآن

دون التطويل في الحجاج<sup>(١)</sup> ومعنى هذا أن ذلك السائل يعلم طبيعة البرهاني، في الشرح والتحليل، والبسط والإطناب والتوضيح، فطلب منه فائدة مركزة، لا تصيب منه في ثانيا أسلوبه المذهب، فأعطاهما له كما طلبها، ثم رأى أن ذلك

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٥ ونحن لا نعلم عن هذا السائل شيئاً، ولا عن صلة البرهاني به ومقلده عند الروماني.

لا يروى قطعا، ولا يشفى غلة، فكتب «الإعجاز» بعد ذلك، ليقول فيه كل ما يريد أن يقوله، وإذا صح هذا الفرض كان «النكت» أصلا لكتابه «الإعجاز».

وربما كان هذا السائل قد اطلع على كتابه في الإعجاز، فرأى الرمانى فيه على سجيته، فسأله أن يعطيه خلاصة هذا الموضوع، فكتب له عند ذلك النكت، وإذا صح هذا الفرض كان كتاب الإعجاز أصلا لكتابه النكت، وكلا الاحتمالين وارد. ومواء أكتب الرمانى أولا إعجاز القرآن ثم نكتي بالنكت، أم الذى حدث هو العكس، فإن الذى نستطيع أن نقوله الآن بناء على ما لدينا من نصوص، إن جوهر الكتابين واحد، وأن الفرق بينهما هو فى الإعجاز والإطناب.

## ٢- الرد على المسائل البغداديات لآبى هاشم:

وهذا أيضا من الكتب المفقودة التى لم يبق منها، إلا اسمها، والحق أن الكتب التى تحمل مثل هذا الاسم يصعب التنبؤ بموضوعها الذى تدور حوله، لأن رجال القرن الرابع كانوا متعددى الثقافات، وكانت مناقباتهم تمتد إلى عديد من العلوم والمعارف.

فإذا ما أوردت لنا كتب الطبقات أو التراجم، اسم كتاب يمثل هذا العنوان، فإننا نقع فى حيرة من أمرنا، فلا ندري موضوعه على وجه التحديد.

وكتابنا هذا الذى نحن بصدده قد أشار إليه ابن منان الخفاجى فى كتابه «سر القصاحة»، حينما تعرض للحشو وأقسامه، والجحسن منه والقبيح<sup>(١)</sup> حيث يقول: «وقد رل فى هذا الموضع أبو هاشم عبد السلام محمد، فألحق الحشو الجيد بالردى، وقال فى «المسائل البغداديات» فى مسألة ذكرها فى إعجاز القرآن: إن الشاعر إذا احتاج إلى الوزن ذكر ما لا يحتاج إليه فى الكلام المشورة<sup>(٢)</sup> وجاء بهما أبو هاشم لهذا الحشو الذى يرى أنه لا ضرورة له وإنما جئ به لإقامة الوزن فقط وهما: قول امرئ القيس:

ورضت فنلت صعبة أى إذلال

وقول الأعشى:

(١) سر القصاحة ص ١٧٠ وما بعدها.

(٢) السابق ص ١٧١.

قأصبت حبة قلبها وطحاليها

وناقشه في ذلك ورأى أن الأول حشو مختار حسن يقصد في الشور مثله  
الحذاق بتأليفه، أما الثاني فهو من أقبح الحشو، ثم قال:

«وما ترداد به عجبا» أن على بن عيسى الرماني، نقض على أبي هاشم  
مسائله هذه بكتاب معروف، قصره على نقضها، واعتمد فيه المناقشة، وترك  
المسامحة في كل لفظة من ألفاظ أبي هاشم، فلما أوصل إلى هذه المسألة  
ونقضها، لم يعرض لهذا الذي ذكرناه، بل ظهر من كلامه أنه موافق فيه،  
مسلم له، ولا نعلم السبب الموجب لخفاء، مثله على أبي الحسن مع مكانه  
المشهور من الأدب» (١).

وهذه الإشارة من ابن سنان تلقي ضوءا خافضا على موضوع الكتاب،  
الذي كتبه الرماني، ليرد فيه على أبي هاشم في كتابه «المسائل الهندسيات».  
لإذا كان أبو هاشم هذا عالما متقدما في صناعة الكلام، كما أشار إليه  
ابن سنان نفسه، فتحق نفترض أن يكون كتابه هذا في علم الكلام، ونفترض  
أنه تعرض فيه لمسائل في أساليب التعبير القرآني كالإيجاز مثلا، فالعلاقة بين  
علم الكلام والإعجاز وأسلوب القرآن وثيقة.

ربما كان كتاب أبي هاشم كله في أساليب القرآن، على غرار هذه  
المسألة التي أشار إليها ابن سنان، ويبدو أن أبا هاشم هذا لا يحسن فهم أساليب  
القرآن الكريم، بدليل خلطه بين الحشو الحسن والحشو القبيح، وجعلها  
بمنزلة واحدة، وبدليل رد الرماني عليه في كتاب كامل، وبدليل قول ابن  
سنان «وأبو هاشم وإن كان العالم المتقدم في صناعة الكلام، فليس معرفته  
بالجواهر والأعراض، وكلامه في العدل والأطاف، مما يقوده العلم بصناعة نقد  
الكلام المؤلف، وفهمه النظم والنثر، كما أن من المتقدمين في هذا العلم من  
يجهل أول ما يجب على العاقل، فضلا عما تجاوزه، ونعوذ بالله من تعاطي ما  
لا تحسن، ونسأله العصمة والتوفيق فيما نقوله وتفعله» (٢).

وهذه الإشارة نفسها تدل على أن هذا الكتاب واحد من كتب الرماني  
في البلاغة، ودراسة الأساليب؛ لأنه أراد أن يصحح كلام أبي هاشم، حينما

خاض فيما ليس له فيه باع، وحينما ظن أن تقدمه في علم الكلام يبيح له  
التصدي لنقد الكلام وتنظيمه وتأليفه.

ولولا إشارة ابن سنان هذه ما كنا عرفنا أن لمثل هذا الكتاب صلة  
بالبلاغة، فالمرود عليه واحد من أعلام الكلام، وعنوان الكتاب لا يوحى بشيء  
محدد، إلا إذا وضعنا في الاعتبار المرود عليه، فنقدر أن المعركة كلامية  
محضة.

وربما كانت للرماني كتب أخرى تدور حول موضوعات بلا  
غير أن يوحى عنوانها بذلك، على غرار هذا الكتاب.

وليس هذا الكتاب وحيدا في رده على أبي هاشم، فقد ذكر القفطي أن  
للرماني كتابا آخر في الرد على أبي هاشم هو «نقض استحقاق الذم في الرد  
على أبي هاشم» لكنني لن أبحث عن مضمونه مادام الأمر لا يقتضي هذا.  
ثانيا: كتبه المخطوطة:

#### ١- الحدود:

ذكرت كتب التراجم مثل «نبذة الوعاة» و «نزهة الألباء» أن للرماني  
كتابين في الحدود:

يحمل أحدهما اسم: الحدود الأكبر

ويحمل الآخر اسم: الحدود الأصغر

وقال عنهما أبو البركات الأنباري:

المحدود الأكبر والمحدود الأصغر<sup>(١)</sup>.

ومن كتاب الحدود، توجد نسخة ضمن مجموع مخطوط في  
«كوبريلي» باستمبول، تحت رقم ١٣٩٣ من ص ٢٥ إلى ٣٥.

ومن نسخة أخرى، ضمن مجموع مخطوط أيضا، في مكتبة الآ  
العالية ببغداد، تحت رقم ٧٧٨، وهي في خمس عشرة صفحة من الحجم  
الصغير<sup>(٢)</sup> ولا ندرى ما إذا كانت النسختان لأحد الكتابين أم أن إحداهما

(١) نزهة الألباء. ص ١٨٩.

(٢) هذه المعلومات مستفادة من رسالة الدكتور/ مازن المبارك «الرماني التحري» ولقد رجع الدكتور  
أن هذه المخطوطة للحدود الأصغر نظرا لعدد صفحاتها.

النسختين لأحد الكتابين والأخرى للآخر.

### شرح كتاب سيبويه:

أشار إلى هذا الكتاب أكثر من ترجموا للرمانى، وذكر صاحب «إشارة التعمين» أن شرح كتاب سيبويه يقع فى سبعين جزءاً<sup>(١)</sup> ولهذا الكتاب مخطوطان:

الأول: فى مكتبة فيض الله باسطنبول، ورقمها فيها (١٩٨٤)، وفى مجمع اللغة العربية بالقاهرة نسخة مصورة عنها، رقمها فى مكتبة المجمع (١٨٣) نحو، كما يوجد فيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن هذه النسخة.

الثانية: هى التى أشار إليها ديرنبورغ محقق كتاب سيبويه، فى مقدمته الفرنسية للكتاب، حيث ذكر أن فى مكتبة فينا نسخة، مكتوبة بخط نسخ أسوى (مشرقى)<sup>(٢)</sup>.

وقد أعد الدكتور/ مازن المبارك رسالته عن «الرمانى النحوى» معتمداً على هذا الكتاب «شرح كتاب سيبويه» ولا فللرمانى كتب أخرى فى النحو. كما أفاض فى رسالته فى هذا الموضوع، بما لسا فى حاجة إلى تكراره.

إمكانته هنا

### ٣- الجامع لطليم القرآن:

هذا الكتاب أشارت إليه معظم الكتب التى ترجمت للرمانى، أو تعرضت له، وهو بذلك يعد من أشهر كتبه.

ولكن هذا الكتاب الشهير الذى يتردد صدها هنا وهنا، لا يعرف الباحثون والدارسون حقيقته، لأنهم مجمعون على أنه مفقود، ولم يبق منه إلا الجزء السابع، وهو موجود فى باريس<sup>(٣)</sup>، وجزء «عم» وهو مخطوط بالمكتبة التيمورية، بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢٠١ تفسير، أما الجزء السابع فإن

(١) إشارة التعمين بركة ٣٤.

(٢) وهذه المعلومات أيضاً مستفاه من رسالة الدكتور/ مازن المبارك والرمانى النحوى فى ضوء

شرح لكتاب سيبويه.

(٣) تاريخ الأدب العربى ج ٢ ص ٨٩.



أحدا من الباحثين والدارسين لم يشر إليه إشارة معرفة ودراية، <sup>(١)</sup> بل س  
متناول أيديهم، ولقد طلب الدكتور/ مازن المبارك صوره له، عن طريق معهد  
المخطوطات بجامعة الدول العربية، ولكنه لم يجب إلى طلبه <sup>(٢)</sup>.

أما تفسير جزء «عم» فلفقد قام حوله جدل كبير بين الباحثين  
والدارسين، فمنهم من نفى نسبة هذا التفسير إلى الرماني، ومنهم من أثبت له،  
ومنهم من شكك فيه.

وقبل أن أعرض لهذا الخلاف الذي وقع بينهم وأحقيقه، أود أن أشير  
إلى أن الرماني قال في باب التضمن في رسالة «التكت في إعجاز القرآن»:  
«وقد بينا ذلك بعد انقضاء كل آية في كتاب «الجامع لعلم القرآن» <sup>(٣)</sup>  
وعلق المحققان على هذا بقولهما: لعل الإشارة هنا إلى كتابه «الجمع الكبير  
في التفسير».

وهذا النص من الرماني كان من المقروض أن يكون هو اليقين الذي  
يقضي على الشك في اسم الكتاب ومضمونه.

أما اسمه فهو كما ذكر الرماني: «الجامع لعلم القرآن».

وأما موضوعه فهو القرآن الكريم، يتناوله آية آية، ويذكر ما تتضمنه بعد  
أن ينتهي من تفسيره لها.

فهل اعتمد الباحثون المعاصرون على صريح نص الرماني في هذا  
الموضوع؟

لقد ذهب الدكتور/ مازن المبارك إلى أن للرماني كتابين:  
أحدهما هو هذا الكتاب «الجامع لعلم القرآن».

والثاني هو «تفسيره الكبير» يقول: «والرماني في علم القرآن كتب  
أخرى غير التفسير ككتاب الجامع في علم القرآن» <sup>(٤)</sup> ولا أدري ما الذي  
حمله على هذا؟ وماذا يكون الجامع لعلم القرآن إذا لم يكن تفسيراً للقرآن؟  
وهل من اللازم أن يوضع على كل كتاب في التفسير اسم «التفسير» حتى  
يصح أن يدخل في عداد كتب التفسير؟

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٠٤.

(١) الرماني التحوي ص ٩٧.

(٣) الرماني التحوي ص ٥٦.

نحن لا نوافق الدكتور على ما ذهب إليه، ويرى أن كتاب «الجامع لعلم القرآن» هو نفسه كتاب «التفسير الكبير»، وأن الذي ذكره الرماني في كتاب «النكت» هو الاسم الصحيح للكتاب، كما نوه أن تثير هنا أيضا إلى أن المؤرخين من بعد الرماني، قد ذكروا هذا الكتاب باسمه تارة، وبموضوعه تارة أخرى، ومنهم من جمع بين الأمرين، فذكر مثلاً أن اسمه «الجامع الكبير في تفسير القرآن»<sup>(١)</sup> أو «الجامع في تفسير القرآن»<sup>(٢)</sup>.

والدكتور ما زلنا يعلم هذا جيدا، ولكنه يتمحل له توجيهها حتى يثقف مع ما ذهب إليه فيقول: «وذكر ابن أبي الإصبع كتاب «الجامع الكبير في التفسير للرماني، بين الكتب التي أخذ عنها، وبهذا الاسم أيضا ذكره ابن سيده في مقدمة «المخصص» ولعلهما أرادا الكتاب السابق «الجامع في علم القرآن» أو اسميا التفسير بالجامع أيضا»<sup>(٣)</sup>.

والأعجب من هذا كله أن الدكتور ما زلنا كان أول من أشار إلى أن معجم المخطوطات بحسب الجزء الثاني عشر من كتاب «الجامع لعلم القرآن» ويقال منه نصا من تفسير أول سورة الحجر، فيها وجده شيئا غير التفسير؟ وإذا لم يكن كتاب الجامع كما نقل عنه كتابا في التفسير فما عساه أن يكون؟ وإذا سرنا وراء منطق الدكتور فإلنا سنعلم أن الرماني كتب كثيرا لا كتابين فقط في هذا الموضوع، ذلك أن من المؤرخين من ذكر أن للرماني كتاب «القرآن»<sup>(٤)</sup>، وكتاب «القرآن»<sup>(٥)</sup>، وله تفسير كبير<sup>(٦)</sup>، ومن قال «تفسير القرآن العظيم»<sup>(٧)</sup>، ومن قال «تفسير القرآن الكريم»<sup>(٨)</sup>.

فهل نحكم بمنطق الدكتور ونقول: إن هذه كتب متعددة بتعدد أسمائها؟

على أنه مما هو معروف وملا يخفى على الدكتور أن موضوع الأسماء وخاصة في كتب التفسير مما لا يلتزم به المؤرخون وأصحاب التراجم، ولا

(١) هداية العارفين ج ١ ص ٦٨٣، يبيع القرآن - القسم الثاني ص ٥.  
(٢) الرماني النحوي ص ٩٧.

(٣) تاريخ الأدب العربي ج ٢ ص ٦٨٩.

(٤) طبقات المفسرين للسيوطي ص ٢٤.

(٥) الكامل في التاريخ ج ٦ ص ١٠٦ - البداية والنهاية ج ١ ص ٣١٤، المنتظم ج ٧ ص ١٧٦.

(٦) وقفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦١.

(٧) مشرقات الذهب ج ٣ ص ١٠٩.

الباحثون المعاصرون، فهم مثلاً يقولون - أو نحن نقول - : تفسير الرمانى،  
وتفسير القرطبي، وتفسير الطبري، وتفسير الزمخشري، وتفسير  
الألوصي... وهكذا، دون أن يخطئهم أو يخطئنا أحد، أو يقول إننا ارتكبنا جرماً  
بتغيير أسماء هذه الكتب، بل إنهم لا يفرقون بيننا وبين من يذكر الأسماء  
الحقيقية لهذه الكتب التى وسماها بها أصحابها، وهذه قضية معروفة.

بل إن للرمانى كتاباً آخر غير التفسير، تعرض لتعدد الأسماء التى وردت  
فى كتب التراجم وهو: الألفاظ المترادفة، وسذكر هذا عندما نتعرض له فى  
حينه. وقد سبق منذ قليل أن أبأ البركات الأتبارى يسمى كتابه الحدود

«المحدود».

والأمثلة على هذا كثيرة لا تحصى من يطلبها، سواء فى تراث الرمانى  
فى تراث غيره، ولعلنا بصدد حصرها أو الإكثار منها، ولكن أردنا الإشارة إليها  
فقط.

نحجى بعد ذلك إلى قضية تفسير جزء «عم» ونسبته إلى الرمانى، التى  
اختلف حولها الباحثون، حتى وصلوا إلى حد التناقض فيما بينهم، بل إن  
بعضهم وصل إلى حد التناقض مع نفسه كما سيبين بعد قليل.  
ونحن نعلن منذ البداية أن القضية محيرة، ولا نؤاخذ أحداً فى حيرة  
أمامها، وأنا شخصياً مررت بهذه الحيرة أمام هذه القضية، حتى تكشف لى  
وجه الحق فيها، بظهور الأدلة الجديدة التى أتيت لى، والتى سأشير إليها فى  
حينها.

وإذا كانت القضية بهذه الصورة فإننى إذا ناقشت أحداً فإننى لن أناقشه  
إلا فى المنهج الذى سلكه، والطريق الذى انتهجه فى تحقيق هذه المسألة، أما  
النتائج فإنها تتوقف على توافر الأدلة، والاستخدام السليم لها، والحق أنه لم  
يكن أعلام الباحثين إلا هذا الجزء فقط، وهو منسوب للرمانى، ولو كان هناك  
جزء أو أجزاء أخرى لأعانت الباحثين على الوصول إلى النتائج السليمة، ولو  
تفضل أحد المهتمين بشئون التراث، وأحضر صورة من الجزء السابع لتفسير  
الرمانى من باريس، لأتاح الفرصة للباحثين ليقروا ويدرسوا ويقارنوا بين هذا  
وذاك، وعند ذاك يمكن أن يصلوا إلى نتائج إن لم تكن صواباً فستكون قريبة

من الصواب.

وفي اعتقادي أن حيرة الباحثين واضطراب أحكامهم في هذه القضية مرجعها إلى ابن تغري بردي؛ حيث ذكر أن للرمانى كتابا في التفسير هو «التفسير الكبير» وقال: «وهو كثير الفوائد، إلا أنه صرح فيه بالاعتزال» وسلك الزمخشري سبيله وزاد عليه<sup>(١)</sup>.

كان هذا النص الموجز أو هذه الإشارة العابرة، سببا في اضطراب الآراء واختلافها، حول نسبة «تفسير جزء عم» إلى الرمانى، فلقد وضع كل باحث نصب عينيه عند بداية البحث، أنه لابد أن يتحقق في هذا الجزء ما ذكره ابن تغري بردي، من أن الزمخشري سلك سبيل الرمانى، ولكن هل يعنى هذا أن يكون الزمخشري قد نقل عنه نصوصا وضمثها تفسيره؟

ذلك ما لم يصرح به ابن تغري بردي، فقد يكون ذلك، وقد يكون سلك سبيله في موضوع الاعتزال وزاد عليه فيه، ومعلوم أن الزمخشري كالرمانى من كبار علماء المعتزلة، فحينما يتعرض لتفسير القرآن فلا بد أن يقف أمام الآيات التى كانت مثار جدل بين الفرق الإسلامية، ويفسرها بما يثق مع مذهبه، وكذلك فعل الرمانى من قبله، كما صرح بذلك ابن تغري بردي.

والحق أن فى تفسير «جزء عم» نصوصا مطابقة لما فى تفسير الزمخشري، وتضرب لذلك مثلا بما فى تفسير سور الفاتحة (سورة الفاتحة) وقد تفسرها فى صدر تفسير جزء عم) وذلك عند قوله تعالى «إلهنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم» فإن المقارنة بين التفسيرين تنتهى بنا إلى أن معظم النصوص متوافقة فى التفسيرين<sup>(٢)</sup> ونكتفى بهذه الإشارة، ولا نجد ضرورة لنقل هذه النصوص.

وأنا أظن أن هذا الاتفاق فى هذه النصوص وفى غيرها، هو الذى دعا بعض الدارسين إلى أن يقول إن هذا الجزء من تفسير الرمانى ومن ذهب إلى هذا رأى الدكتور/ عبد المال سالم مكرم حيث يقول:

(١) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٨.

(٢) تفسير الزمخشري ج ١ من ص ١٢ إلى ص ١٧. تفسير جزء عم من ص ١٤ إلى ص ١٨.

إلى الحد الذي جعلني أتت في نسبة تفسير جزء «عم» الذي تضمنه مكتبة  
بسمور إلى الرماني، وقلت: لعله لرماني آخر، تأخر زمنه عن الزمخشري، فنقل  
من الكشاف ما نقل ونسبه إلى نفسه، ووجعت إلى كتب الطبقات فوجدت  
أنه اشتهر ثلاثة من النحاة بهذا اللقب:

أحدهما: الرماني المشهور، صاحب التفسير الكبير الذي تحدثنا عنه.

وثانيهم: علي بن عبد الله بن محمد بن علي بن مان التونسي، أخذ عنه ابن  
عصفور، ولم يذكر السيوطي سنة وفاته، إلا أنه من الممكن معرفة  
عصره الذي عاش فيه بمعرفة ميلاد ابن عصفور أو موته، أما  
ابن عصفور فقد كان سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وأما تاريخ رآته  
فقد ذكر أنه توفي سنة ثلاث وقيل تسع وستين وستمائه، ومعنى ذلك  
أن الرماني الذي أخذ عنه ابن عصفور من رجال القرن السابع.

وإذا تبين لنا أن الزمخشري توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة فإننا  
نقطع برأى فاضل في هذا الموضوع، يقضي بأن الرماني الثاني سابق  
للمزمخشري، ولم يتصل السيوطي على أن له مؤلفات في القرآن، على حين  
نص على أن الرماني علي بن عيسى له تفسير كبير في القرآن، لذلك ننفي  
نسبة تفسير جزء عم لهذا الرماني الثاني.

وأما الرماني الثالث، علي بن عبد الله بن علي بن رمان التونسي، فليس  
له من المؤلفات القرآنية - كذلك - ما يجعلنا ننسب هذا التفسير إليه، وإذا  
انتفى أن يكون تفسير جزء «عم» لواحد من هذين الرجلين، فأكبر الظن أنه  
للرماني الأول علي بن عيسى، وأن الزمخشري اطلع على هذا التفسير وأفاد  
منه، بل نقل منه نصوصاً بأمورها، وكان واجب الأمانة العلمية يقضي بأن  
يشير إلى ذلك في كتابه<sup>(١)</sup>.

وأعجب ما في هذه الطريقة التي حقق بها نسبة تفسير جزء «عم» إلى  
الرماني أنه حصر النسبة فيمن يحمل لقب الرماني من النحاة، ومعلوم أن  
تفسير القرآن ليس وفقاً على النحاة، وليس وفقاً كذلك على من يحمل هذا

(١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص ٢٢٤، ٢٢٥.



اللقب منهم، على أنه من يحمل هذا اللقب ليسوا ثلاثة وإنما هم أكثر من ذلك، وقد أشرنا إلى خمسة منهم عند الحديث عن ألقاب الرمانى، وكان ينبغي عليه أن يدخلهم فى دائرة التحقيق، هذه ناحية، والناحية الثانية هى أنه اعتمد على المؤلفات التى ذكرها السيوطى للرمانى الثانى، ولم يذكر من بينها أنه ألف تفسيراً، وبمثل هذه الطريقة حقق مؤلفات الرمانى الثالث، ونحن نتساءل: منذ متى كان السيوطى هو المرجع الأول والأخير، أو المرجع الوحيد، فى معرفة مؤلفات هؤلاء الأعلام؟ إن كتاب السيوطى الذى نقل عنه (بغية الوعاة) من كتب التراجم، وليس من كتب الفهارس التى تعنى بحصر الكتب، ومعروف عنه أنه يذكر بعض الكتب ويترك بعضها الآخر، وكان من واجب البحث العلمى أن يتابع البحث فى المصادر المختلفة، حتى يطبق منهجه التطبيق السليم، ليوصل إلى مؤلفات هؤلاء الذين حصر دائرة بحثه فيهم. هذا ما أردنا أن نعلق به على منهج الأستاذ الدكتور فى التحقيق.

أما النتيجة التى انتهى إليها ومدى صحتها فيستضح موقفنا منها حينما نذكر ما نصل إليه فى هذا الموضوع.

وكما اضطرب الدكتور/ عبد العال سالم مكرم فى طريقة تحقيق نسبة هذا الجزء إلى الرمانى اضطرب أيضاً الدكتور/ مصطفى الصاوى الجوينى، وانتهى إلى مناقضة نفسه كما يستضح ذلك، والسبب هو حرصه على تحقيق قضية تأخر الزمخشري بالرمانى ونقله عنه نصراً ضمنياً لتفسيره.

يقول الدكتور الجوينى: «ومن التفاسير التى تأثرها الزمخشري تفسير الرمانى (المتوفى سنة ٢٨٤هـ) المسمى بالتفسير الكبير للرمانى، ولم تبق لنا يد الزمن منه إلا جزء «عم» من مقتنيات المكتبة التيمورية» ويظهر أن هذه النسخة تناولها شيء غير قليل من التحريف والتعديل.... إلخ»<sup>(١)</sup>.

ثم يقول: «لنا نظمنا تماماً إلى أن هذه النسخة بعينها نتاج صاحبها محرراً، وأياً ما كان فنسلمح بالمقارنة بين الكشاف والرمانى أن أولهما تأثر الثانى وسار على نهجه»<sup>(٢)</sup>.

(١) منهج الزمخشري فى تفسير القرآن بيان إعجازه ص ٨٥.

(٢) السابق ص ٨٦.

ومعنى هذا الكلام أن هذا الجزء للرماني وليس له في الوقت نفسه، وإلا  
فما معنى أنه سيقارن بين الرماني والزمخشري مادام لا يطمئن إلى أن هذه  
النسخة بعينها هي نتاج صاحبيها، ومادام يرى أن هذه النسخة قد أصابها غير  
قليل من التحريف والتعديل؟!.

إن أسلوب النسخة عنده ينبغي أن تكون هي نسخة الرماني بعينها.  
وإن اتفاق بعض تصوصها مع الزمخشري تثبت عنده أنها للرماني.  
فما هذا التناقض؟

إن التحقيق العلمي ينافي ذلك تماما، لأنه مادامت هذه النسخة ليست  
محررة، وما دامت قد تحرفت وتعدلت عن النسخة الأصلية فلا ينبغي أن  
نسب للرماني. لأن ما في النسخة بعضه من وضع الرماني وبعضه من وضع  
المحرّف أو المعدل، فالتحريف والتعديل حذف وإضافة. هذا على فرض صحة ما  
ذهب إليه من أن أصل النسخة له إلا أنها ليست هي تماما. وإذا فلا ينبغي  
أن يوازن بين هذه النسخة على أنها للرماني وبين ما جاء في كشف  
الزمخشري؛ وذلك لأن الكشف محقق النسبة للزمخشري، وليس الأمر كذلك  
فيما يتعلق بتفسير جزء «عم» كما حقق ذلك بنفسه، ولكن يبدو عليه أنه  
آمن بما جاء به ابن تغري بردي إيمانا لا يقبل الشك، ومن هنا وقع فيما وقع  
فيه من تناقض.

ونكتفي بهذين الباحثين ممن تعرضوا لقضية تفسير جزء «عم»؛ لأن من  
تعرض له كثيرون.

ولقد اخترنا هذين الباحثين بصفة خاصة لأن الأول أورد هذه الآراء في  
رسالته التي أعدها لنيل درجة الدكتوراه، والثاني أوردتها في رسالته التي أعدها  
لنيل درجة الماجستير، والرسائل العلمية تقتضي من صاحبها أن يصبر على  
التحقيق العلمي، أو هذا ما ينبغي أن يكون.

أما موقفنا من تفسير جزء «عم» وحقيقة نسبته إلى الرماني، فنحن نذكر  
أولا الحقائق التالية:

١- لقد أشار الرماني في «النكت» إلى أنه ذكر في كتابه «الجامع لعلم القرآن» التضمن عقب كل آية من آيات الكتاب الكريم، وذكر منها نموذجاً، وهو التضمن في «بسم الله الرحمن الرحيم» قال: «قد تضمن التعليم لاستفتاح الأمور على التبرك به، والتعظيم لله بذكره، وأنه آداب الدين، وشعار المسلمين، وأنه إقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي هي من زجل نعمه، وأنه ملجأ الخائف ومعتد للمستجيع» (١).

ولما كان الجامع هو نفسه نفسير الرماني خلافاً للدكتور مازن الذي ذكرناه آنفاً، فإنه ينبغي علينا أن نبحث عن التضمن في جزء «عم»، فإذا وجدناه فيه كان ذلك من مرجحات نسبته إلى الرماني، وإذا لم نجده كان أحد أدلة النفي.

لأننا: إن الرماني من أعلام الاعتزال، وفي القرآن كثير من الآيات التي تعد من أكبر ميادين الاحتكاك بين أصحاب الفرق الإسلامية المختلفة، ولا بد أن يتوقف عندها الرماني، حتى يؤيد بها مذهبه، ويهاجم بها مذاهب الآخرين، وعلينا أن نبحث عن مثل هذه الآيات في تفسير جزء «عم»، لنرى موقف الرماني منها، ولنعرف هل يتفق تفسيره في هذا الجزء مع مذهب الرماني الكلامي؟

لأننا: إن ما ذكره ابن تقي برقي لا يحتم أن الزمخشري نقل عنه أو سلك سبيله في قضايا التفسير، وإنما الذي نفحصه منه أنه سلك سبيله في قضايا الاعتزال، وزاد عليه فيها، عند النظر في تفسير الآيات التي تقتضي ذلك، ومادام الأمر كذلك فإن تطابق بعض التصوص في التفسيرين لا ينهض حجة على أن هذا التفسير للرماني وسلك الزمخشري سبيله بالنقل عنه.

وأما: قد يسبق إلى الظن أن الرماني بلاغي معتزلي، وأن الزمخشري بلاغي معتزلي كذلك، وعلى هذا فإن تفسيريهما ينبغي أن يتشابه في قضايا البلاغة والاعتزال، ومادام الرماني سابقاً على الزمخشري فلا بد أن يكون الزمخشري قد وطئ عقبيه وسار على نهجه، ويعتمد في هذا على بعض وجوه البلاغة التي وردت متطابقة في التفسيرين، كالحديث عن الالتفات مثلاً، الذي ورد في التفسيرين، عند تفسير سورة الفاتحة، والذي أشرنا إليه

(١) ثلاث رسائل في إيجاز القرآن ص ١٠٣، ١٠٤.

سابقا، ومن وقع في هذا الوهم الدكتور/ عبد القادر حسين، حيث يذهب إلى أن الزمخشري الذي يزخر تفسيره «بالنكت البيانية والتطبيقات البلاغية» بعلمها الثلاثة أخذ كثيرا من الرمانى واستقى منه آراءه واعتمد عليه اعتمادا كلياً (عكذا اعتمد عليه اعتمادا كلياً!!!).

ويعتمد في حكمه هذا على نص ابن تغرى بردى السابق<sup>(١)</sup>، ويقول الذى يهمنى أن الزمخشري فى كشفه جعل البلاغة مدار تفسيره، وكانت هى العماد الذى يتكى عليه فى كل تحليل، فلا شك عندئذ بأنه قد أقاد منه فى الناحية البلاغية، أقاد فى إبراز المعانى وشرح الآيات<sup>(٢)</sup>.  
«هكذا لاشك عنده فى إفادة الزمخشري من الرمانى فى البلاغة!!!»

والدكتور/ عبد القادر لا يجزم «بأن كل آراء الزمخشري البلاغية ترد فى أصولها إلى الرمانى»، وقد يستطيع الباحثون أن يلقوا الضوء على تفسير الرمانى ببيان أثره فى بلاغة الزمخشري بطريق القطع، لو عقدوا مقارنة بين تفسير الكشاف وتفسير جزء «عم»<sup>(٣)</sup>.

هكذا!! كأن تفسير جزء «عم» مقطوع النسبة إلى الرمانى، والقضية هى فى موازنة بلاغته ببلاغة الزمخشري، حتى يبينوا أثر الرمانى فى الزمخشري بطريق القطع (ومنذ لحظات كان قد حكم بأن الزمخشري قد اعتمد عليه اعتمادا كلياً وأنه لا يشك فى إفادة الزمخشري منه فى الناحية البلاغية).

وأيسر اطلاع على تفسير جزء «عم» يعطى صورة واضحة عن البلاغة التى وردت فيه، وأنها إذا ما قيست بما جاء فى الكشاف من تحليلات بلاغية فإن الفرق سيكون شاسعا، وعلى هذا فإن المقارنة البلاغية بين التفسيرين لا تنتهى بنا إلى نتيجة مفيدة، ولا تخمس الأمر فى نسبة تفسير هذا الجزء إلى الرمانى.

خاصة: وهذا هو الأهم، أنه قد أتيج لى أن أطلع على جزئين من تفسير القرآن الكريم للرمانى - ولا أعلم حتى كتابة هذه السطور أن أحدا سبقنى إلى ذلك وسيلتى الحديث مفصلا عن هذا- وعند الحكم على نسبة تفسير جزء «عم» إلى الرمانى فإن الواجب يقتضى منى أن أقار

هذا الجزء بما هو محقق النسبة إلى الرماني، فإن كان مثله أسلوبا ومنهجاً  
وأراء وقضايا فهو للرماني، وإلا فلا ضمير علينا أن نتفى نسبته إليه.

وبعد هذه الحقائق أقدر في يقين واطمئنان أن تفسير جزء «عم» الذي  
ضمنه مكتبة نيمور تحت رقم ٢٠١ بدار الكتب ليس للرماني للأسباب الآتية:  
ولا لأنه يخلو من التضمنين تماما، والتضمنين من أكبر ميزات تفسير الرماني.  
لأنه يخلو من روح الاعتزال التي عرف بها الرماني، بل إنه في تفسير هذا  
الجزء بعضا من آراء أهل السنة كما ورد عند تفسير قوله تعالى «كلا  
إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون».

لأنه يختلف تمام الاختلاف في الأسلوب وطريقة العرض عن جزءي  
تفسير الرماني الباقيين، وذلك لأن أسلوب الرماني في تفسيره، والذي لم  
أر أحدا غيره قد سلكه، هو أسلوب السؤال والجواب، وهذا مظهر في كل  
ما بقى لنا من تفسيره، لم يتخلف في أي صفحة من صفحاته، فأين  
هذا من تفسير جزء «عم» الذي يجري على الأسلوب المرسل المعروف  
في التأليف؟

لأن تفسير جزء «عم» قد جاء في أوله تفسير سورة الفاتحة، والمعروف أن  
موضعها في ترتيب المصحف هو قبل سورة البقرة، وعلى هذا جرى  
جميع المفسرين، ولم نر أحدا منهم زحزحها عن مكانها المعروف عند  
تفسيره للقرآن، إلا أن يكون المفسر قد عمد إلى تفسير جزء واحد من  
أجزاء القرآن مثلاً. والرماني لم يفسر جزء «عم» وحده، وإنما فسر القرآن  
كله، وليس من المعقول ولا من المقبول أن يذكر تفسير فاتحة الكتاب في  
أول كل جزء من أجزاء القرآن الكريم.

خامساً: (وهذه مسألة شكلية) لأن الخط الذي كتب به اسم المؤلف على  
النسخة النيسورية يختلف تماماً عن الخط الذي كتبت به هذه النسخة،  
ويبدو أنه أحدث منه بكثير؛ لأنه أكثر وضوحاً وإسرافاً من الخط الذي  
في الداخل، مع أن الخط الخارجي يكون هو المعرض للمحو والزوال،  
وهذه النقطة إن لم تكن مرجحة فهي معسدة.

وإذا لم يكن هذا الجزء للرماني فلن يكون إذن؟

ونحن نقول: ليس من شأننا أن نعرف حقيقة نسبته للرماني. هذا هو غرضنا وقد حققناه بما نرضى عنه.

ولكن قبل أن أترك هذه النقطة أحب أن أتساءل: لماذا يفترض الباحثون دائماً أن الـرمخشي هو الذي نقل عن هذه النسخة من تفسير جزء «عم» ولا يفترضون العكس وهو أن مؤلف النسخة (أو مفسر هذا الجزء) هو الذي نقل عن الـرمخشي؟ وإذا كان المشتبهون بنسبة هذا التفسير للرماني لا يستطيعون ذلك فلماذا لا يفترض ذلك المشتككون إذن؟.

والحق أن الدكتور عبد العال سالم مكرم كان قد افترض هذا الفرض أو توهمه، إلا أنه فقد قيمته حينما حصره في من يحمل لقب «الرماني» من النحاة، ولما ذهب يحقق هذه المسألة لم يكشف إلا واحداً فقط يحمل هذا اللقب جاء بعد عصر الـرمخشي مما كشفنا عنه النقاب منذ قليل، ولو أنه وسع دائرة فرضه وحقق المسألة لكان أولى له وأنفع للبحث العلمي وأجدى للحقيقة العلمية، ومن هنا فقد فرضه هذا قيمته.

يبقى بعد ذلك أن نلقى الضوء على جزءي تفسيره الباقيين، اللذين يضم معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فيلما لكل منهما.

فأما أولهما فهو الجزء العاشر من التفسير، ولقد جاء في الصورة الأولى من الفيلم، الذي يضم معهد المخطوطات له ما يلي:

الجزء العاشر من كتاب الجامع لعلم القرآن

تأليف أبي الحسن علي بن عيسى النحوي رحمه الله

فيلم عن نسخة بمكتبة قسطنطين رقم ٣١٣

وعلى وجهها وفي بعض صفحاتها من الداخل ختم الوقف.

وهذا الجزء يبدأ بقوله تعالى من سورة آل عمران: «إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم» (آية ٨٩ آل عمران).

وينتهي هذا الجزء بنهاية السورة ويقع في حوالي مائة وست وسبعين ورقة، إلا أنها غير موقمة، وصفحاتها ليست مرتبة.



تمثالا نجد تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ تَعَارَفُنْ يَقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمْ مَلَأَ الْأَرْضَ ذَهَابًا وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آية ٩١ آل عمران) في غير مكانه الطبيعي، فلقد حدث أن نقلت أربع صفحات من مكانها في صدر تفسير هذا الجزء إلى مكان آخر، حيث اعترضت تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾ (آية ١٦٩ آل عمران) ولم يحاول مصور النسخة أن يرتب الصفحات، ليأخذ منها فيلما صحيحا، فجاءت صورة الفيلم مضطربة كأصل النسخة.

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الجزء من تفسير الرماني لم أعرف أحدا من الباحثين والدارسين اعتمدى إليه قبلي، لأنني لم أجده إشارة إليه لا من قريب ولا من بعيد، في كل الأبحاث العلمية التي كتبت عن الرماني أو تعرضت له، ولا حتى في الكتب والمؤلفات الأخرى.

وأما ثانيها فهو الجزء الثاني عشر من التفسير، وقد جاء على رأس صورة من صور الفيلم الذي يضمه المعهد له ما يلي:

المكتبة:	المسجد الأقصى	رقم المخطوطة فيها ٢٩
اسم الكتاب:	تفسير القرآن	(الجزء الثاني عشر) ؟
اسم المؤلف:	علي بن عيسى الرماني ؟	هكذا كتب عليه بخط حديث.
تاريخ النسخ:	القرن السادس	خط نفيس مشكول.
عدد الأوراق:	١٥٠ ورقة تقريبا ناقص الأول والأخير ١٥ سطرا.	

وجاء في الصفحة الأولى: «هذا الجزء الثاني عشر من كتاب الجامع في علوم القرآن لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني.

وببدأ الجزء بكلام مبثور عن الآية ١٦ من سورة إبراهيم، ثم يبدأ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يَسْفِيهِ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرِثَهُ عَذَابُ غُلِيظٍ﴾ (آية ١٧ من سورة إبراهيم). ويتشبه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهَا وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ سَوَاكٍ

رجلاً» (الآيات ٣٥ - ٣٧ الكهف) ولكن الجزء ينتهي قبل أن يكمل تفسير هذه الآيات، مما يدل على أن الجزء ناقص من أوله وناقص من آخره، كما جاء في البيان الذي نقلناه هنا.

وهذه النسخة أيضاً ليست موقمة، ولو كانت موقمة لعرفنا عدد الصفحات التي ضاعت من بداية تفسير هذا الجزء على الأقل. وفي هذا الجزء اضطراب أيضاً في ترتيب الصفحات، وفيه فوق ذلك تكرار لبعض الصفحات.

فمثلاً نجد أن بعض تفسير قوله تعالى: «إسرائيلهم من قطران وقشى وجوههم النار» يأتي بعد خمس عشرة صفحة من موضعه، متداخلاً مع تفسير قوله تعالى: «وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون... الآيات الثلاث».

كما نجد أن هناك صفحتين تكررتا، تتضمنان تفسير قوله تعالى: «إلا إلهيس إلهي أن يكون مع الساجدين قال يا إلهيس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقتني من صلصال من حمأ مسنون».

كما تتضمن عاكتان الصفحتان جزءاً من تفسير ما قبل هذه الآيات. هذا مجرد مثال؛ لأن الصفحات المكررة أكثر من هذا.

ومعنى هذا أن الحجم الحقيقي لهذا الجزء أقل من مائة وخمسين ورقة، وذلك إذا ألغينا التكرار الذي وقع في بعض الصفحات.

وأحب أن أذكر هنا أن الذي دلتني على هذا الجزء هو إشارة الدكتور/ مازن المبارك له في رسالته «الرماني النحوي»، ولكنني اكتشفت بعد أن اطلعت على هذا الجزء أن الدكتور مازن لم يعرف عن هذا الجزء إلا البيانات التي جاءت في أول صورة من صور الفيلم، مع نقل نموذج من التفسير من أول سورة الحجر، وكل من يطلع على هذا الجزء ويقرأ ما كتبه عنه الدكتور مازن سيوقن بما قلته هنا.

ومن هنا أبيع لنفسي أن أقول إنني أول من وفق إلى قراءة هذا الجزء والإفادة منه، وإن كان للدكتور مازن فضل السابق إلى معرفته والإشارة إليه.

وإذا افترضنا أن ذلك ممكن على اعتبار أن أول التفسير دائما يحتاج إلى كلام كبير، لأنه يتطلب الوقوف عند كل آية وكل كلمة، وكلما تقدم به التفسير قل كلامه، لأن في إمكانه حينئذ أن يحيل على ما سبق، أقول إذا افترضنا أن ذلك ممكن وقبلناه فهل نقبل أن يكون الجزء الحادى عشر بهذا الحجم وهذه الضخامة؟

لا شك عندى أن وضئ أرقام هذه الأجزاء من عمل النساخ، وبالتالي فإن الدهشة التى نعتري الدارس عندما يرى هذه الأرقام ويقارن بينها يرجع أـ وأخيرا إلى عدم دقة النساخ فى وضع الرقم الصحيح للجزء.

ونحن لن نفترض رقما لهذا الجزء ورقما لذلك لأنه أمر لا ضرورة له، ومن أراد أن يعرف حجم هذا التفسير فعليه أن يراجع هذين الجزأين من التفسير، ويرى كم يستغرق تفسير الآية فى هذا الجزء، وكم يستغرق تفسير آية مثلها فى الجزء الآخر، ليهتدى إلى تصور تقريبي لحجم هذا التفسير.

وبالمقارنة بين الجزأين تبين لنا أن الرماتى فى الجزء العاشر يفسر كل آية بمشردها، يبدو تفسيره لها بقوله: «القول فى قوله جل وعزه، ثم يذكر الآية كاملة، ثم يبدأ فى تفسيرها على طريقة السؤال والجواب، وهذا المنهج مطرد عنده فى هذا الجزء، ولم يتخلف قط، وفى نهاية تفسير كل آية يذكر ما تتضمنه من معان.

أما فى الجزء الثانى عشر فإنه يفسر الآيتين معاً، وقد يجمع ثلاث آيات أو أربع آيات ويقرها معاً، بالأسلوب نفسه، والطريقة التى كان يفسر بها فى الجزء العاشر، ثم يختم تفسيره لهذه الآيات المجتمعة بذكر ما تتضمنه كلها من معان.

كما تبين لنا، أن القدر الذى يشغله تفسير آية قصيرة فى الجزء العاشر، يكفى لتفسير أربع أو خمس آيات من الجزء الثانى عشر، وهذا يعنى أنه كلما تقدم فى تفسيره اقتصد فى شرح الآيات وتفسيرها، مكتفيا بما فصله فيها سبق من تفسيره، فعلى قارئ تفسيره أن يرجع إليه هناك.

هذا وتفسير الرماتى كاسمه «جامع» لعلم القرآن، فلقد أفاض فى شرح آيات الكتاب الكريم، وأطنب فى بيان مسائلها وأحكامها، وما يتعلق بها من

وأول ما يلاحظه الدارس أمام هذا الجزء أن العنوان الذي كتب على الغلاف هو «تفسير القرآن» وأن العنوان الذي جاء في الصفحة الأولى هو «هذا الجزء الثاني عشر من كتاب الجامع في علوم القرآن، وهذا يعني أن الجامع والتفسير كتاب واحد وليسا كتابين، وأن الاسم الصحيح له هو «الجامع في علوم القرآن»<sup>(١)</sup> وأن كلمة التفسير التي جاءت على الغلاف من عمل النساخ وليست اسماً للكتاب.

وكان هذا وحده كافياً لأن يتوقف الدكتور/ مازن عن الحكم بأن التفسير كتاب والجامع كتاب آخر، ولكنه أغفل هذا أو تغافل عنه، والغريب أن الدكتور/ مازن هو الوحيد الذي حكم هذا الحكم - فيما أعلم - وهو الوحيد أيضاً الذي كان يملك الدليل القوي العملي على خطأ هذا الحكم، وهذا الدليل هو هذه الملاحظة التي ذكرناها هنا وهي أن الجزء الثاني عشر يحمل عنوانين لكتاب واحد.

وعند المقارنة بين الجزء أخذ أن أولهما ينتهي عند آخر سورة آل عمران، وأن الرماني فسرقه نحواً من حزمة ونصف حزب في مائة وست وسبعين ورقة، وأن الثاني ينتهي في سورة الكهف وأنه فسر حوالي جزأين في أقل من مائة وخمسين ورقة - بعد حذف المكرر... وأن بين جزئي الكتاب حوالي تسعة أجزاء من القرآن الكريم.

فإذا كان الأول هو الجزء العاشر والثاني هو الجزء الثاني عشر فهل يعني هذا أن الجزء الحادي عشر يبدأ من أول سورة النساء وينتهي في سورة إبراهيم - أو في آخر سورة الرعد إذا قدرنا أن الحذف من تفسير الجزء الثاني عشر يبدأ من أول سورة إبراهيم - ؟ أعتقد أن الإجابة على هذا السؤال بنعم مجازفة في الحكم، أما أنا فأشك في عملية الترقيم نفسها.

فهل يعقل أن يستغرق الجزء العاشر أكثر من نصف سورة آل عمران وتكون الأجزاء التسعة الأولى مستغرقة فاتحة الكتاب والبقرة وما لم يستغرقه الجزء العاشر من سورة آل عمران.

(١) هذا العنوان يختلف قبلها عما ذكره الرماني نفسه وهو «الجامع لعلم القرآن» وهو نفس الاسم الذي جاء على النسخة القسطنطينية للجزء العاشر، والدكتور/ مازن يسميه «الجامع في علم القرآن».

فقده ونحو وكلام، على طريقة المعتزلة، وفراءان ولهجات، كما تحدث فيه عن  
أسباب النزول، وعن وجه اتصال الآية بما قبلها أحياناً، كما جمع في تفسيره  
هذا بين العقل والنقل، فروى كثيراً مما أثير عن الصحابة والتابعين وكبار  
الصالحين في تفسير بعض الآيات، وأسند إليهم ما روى عنهم، بل إنه كان  
يستعين بأراء العلماء المتأخرين من رجال اللغة، الذين تعرضوا لتفسير القرآن  
وشرح آياته، كالفراء وأبى عبيدة، ووقف عند بعض آرائهم وناقشها عندما ظهر  
لأن وجه الصواب قد جاتهم، ولم يرض على نفسه بالإفادة من آراء أساتذته  
ومفاصريه، وكثيراً ما نجد آراءهم في تفسيره متسوية إليهم، حتى الفارسي  
صاحب المقالة الشهيرة التي أطلقها في الرماني، نجدته ينقل عنه آراءه وينسبها  
إليه في نزاهة وأمانة.

وفي تفسيره أيضاً فوق ما سبق تشيع واضح، أشرنا إليه عند الكلام على  
حديثه، ولكن هذه المسائل المتعددة التي تضمنها تفسيره ليست متساوية في  
القدر، فالحق ومساائله وقضاياها يأتي في رأس مجموعة العلوم التي تشغل أكبر  
قسط من تفسيره، حتى إذا قلنا إنه تفسيره تحوى لم يبعد.

أما مسائل العلوم الأخرى فإن نصيبها أمام النحو يتضاءل، ثم هي  
نفسها تتفاوت فيما بينها.

والعجب كل العجب أن الرماني - على الرغم من مكانته في البلاغة  
ومنازاته في البيان وتجديده فيها - لا يعطى للتفسير البياني كبير أهمية، فقد  
يسر على الآيات العديدة دون أن يشير أدنى إشارة إلى شيء من هذا، فإذا أشار  
كانت إشارته خاطفة، لا تروى ظمناً ولا تشفى غلة - هذا إذا استثنينا التضمنين  
الذي لازم تفسيره من أوله إلى آخره كما صرح هو بذلك، وكما تبيناه في  
جزئ تفسيره الباقيين، وهذا عكس ما كنا نتظره من رجل في مثل مكانته  
البلاغية المعروفة، بل إنى لأزعم أن من عرف بلاغة الرماني توقع من تفسيره  
أن يكون على مستوى بلاغته في «النكت» أو على مقربة منها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرماني كان يقول عن تفسيره «تفسيرى بستان  
يجتنى منه ما يشتهى» وهذا وصف صادق لتفسيره، كما تبيناه من هذين  
الجزئين الباقيين.

فقه ونحو وكلام، على طريقة المعتزلة، وقراءات ولهجات، كما تحدث فيه عن أسباب النزول، وعن وجه اتصال الآية بما قبلها أحيانا، كما جمع في تفسيره هذا بين العقل والنقل، فروى كثيرا مما أثر عن الصحابة والتابعين وكبار الصالحين في تفسير بعض الآيات، وأسد إليهم ما روى عنهم، بل إنه كان يستعين بأراء العلماء المتأخرين من رجال اللغة، الذين تعرضوا لتفسير القرآن وشرح آياته، كالفراء وأبى عبيدة، ووقف عند بعض آرائهم وناقشها عندما ظهر له بطلان وجه الصواب قد جابتهم، ولم يرض على نفسه بالإفادة من آراء أساتذته ومناصريه، وكثيرا ما مجد آراءهم في تفسيره منسوبة إليهم، حتى الفارسي صاحب المقالة الشهيرة التي أطلقها في الرماني، نجده ينقل عنه آراءه وينسبها إليه في نزاهة وأمانة.

وفي تفسيره أيضا فوق ما سبق تشيع واضح، أشرنا إليه عند الكلام على مذهبه، ولكن هذه المسائل المتعددة التي تضمنتها تفسيره ليست متساوية في القدر، فالنحو ومثاله وقضاياه يأتي في رأس مجموعة العلوم التي تشغل أكبر قدر من تفسيره، حتى إذا قلنا إن تفسيره نحوي لم نبعد.

أما مسائل العلوم الأخرى فإن نصيبها أمام النحو يتضاءل، ثم هي نفسها تتفاوت فيما بينها.

والعجب كل العجب أن الرماني -على الرغم من مكانته في البلاغة ومنزلته في البيان وتجديده فيها- لا يعطي للتفسير البياني كبير أهمية، فقد يصر على الآيات العديدة دون أن يشير أدنى إشارة إلى شيء من هذا، فإذا أشار كانت إشارته خاطئة، لا تروى ظمأ ولا تشفى غلة -هذا إذا استثنينا التضمين الذي لازم تفسيره من أوله إلى آخره كما صرح هو بذلك، وكما تبيناه في جزئ تفسيره الباقيين، وهذا عكس ما كنا نتظره من رجل في مثل مكانته البلاغية المعروفة، بل إنى لأزعم أن من عرف بلاغة الرماني توقع من تفسيره أن يكون على مستوى بلاغته في النكت أو على مقربة منها.

وما تجدر الإشارة إليه أن الرماني كان يقول عن تفسيره «تفسيرى بستان يجتنى منه ما يشتهى» وهذا وصف صادق لتفسيره، كما تبيناه من هذين الجزئين الباقيين.



بضمه ما عمل بعد ذلك من الحرم.

وقال: إذا كانت المغفرة فيما تجوز فيه التوبة فلم ذكرت مع التوبة؟

الجواب: لأنها نعمة من الله كما أن الثواب نعمة منه وإن كان واحداً هكذا ولعلمه واحداً في الحكمة فللمغفرة تكون فيما تجوز فيه التوبة.....

ويعمضي في تفسيره الآية بهذا الأسلوب حتى يصل إلى آخرها فيقول: وقد تضمنت الآية: البيان عن قبول التوبة من كل متعصية لأنها إذا قبلت من الردة وهي أعظم كان قبولها مما دونها أوجب<sup>(١)</sup>.

٢ - القول في قوله جل وعز: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يقتلون آيات الله أناء الليل وهم يستجدون﴾.

يقال: لم ذكر في الآية مع سواء أحد الفريقين دون الآخر ولم يجر مثل ذلك في سواء علي قيامك وقعودك<sup>(٢)</sup>؟

الجواب: فيه قولان: الأول: أنه محذوف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه كما قال أبو ذؤيب:

هاتئنا القلب إلى لأمره مطيع فيما أدرى أرشد طلابها<sup>(٣)</sup>  
ولم يقل لم عني لأن حاله ينشئ من جهة أنه يهواها، فما يلقى أرشد أم

وقال الآخر:

أراك فلا أدرى أهم همته وذوالهم قدماً خاشع متطائل  
ولم يقل أم غيره لأن حاله في التشير ينشئ أن الهم غيره أم غيره ما يجري مجراه وهذا مذهب القراء<sup>(٤)</sup>.

والوجه الثاني: أن تكون ليسوا سواء تمام الكلام ثم يستأنف ما بعده.

(١) الجزء العاشر من الجامع لعلم القرآن.  
(٢) شرح هذه المسألة شرحاً وافياً في كتاب الحروف عند ذكر الفرق بين هـ و هـ وأو. الورقة ٢٣ من  
الفيلم ١١٥ لغة بمعهد المخطوطات ص ٣٩ منازل الحروف، ص ١٧٢ كتاب معاني الحروف.  
(٣) أبيت في معاني القرآن للقراء ج ١ ص ٢٢٠ كما يلي:  
عصيت إليها القلب إلى لأمرها  
سميع فيما أدرى أرشد طلابها  
(٤) مذهب القراء في هذه المسألة منكر في «معاني القرآن» ج ١ ص ٢٢ وما بعدها.

كما يقال إذا ذكرت قبيلة يمين أو بخل، ليس وراء منهم الجواد والشجاع.  
 فرفع أمة على القول الأول بمعنى الفعل كأنه قيل: لا تسنوي أمة  
 هادية وأمة ضالة، ورفع على القول الثاني بالاشتقاق... الخ<sup>(١)</sup>  
 هذا هو أسلوب الرماني في تفسيره، وهذه طريقته، فأين هذا من أسلوب  
 تفسير جزم وعم؟ ثم أين التعقيد وأين الغموض في مثل هذا الأسلوب؟  
 أليس محققا فيما قدمته من أن للرماني أسلوبين في مؤلفاته - إن  
 صحت شكوى القدماء منه - أحدهما خص به النحر والمنطق والكلام، والثاني  
 ذهب يعالج به مسائل بفية العارم التي يكون له فيها رأى جديد، وإضافة إلى  
 ما انتهى إليه السابقون؟

ثالثا: كتبه المطبوعة:

#### ١- الألفاظ المترادفة:

بعد هذا الكتاب أول كتب الرماني التي خرجت من عالم المخطوطات  
 إلى عالم المطبوعات، فلقد نشره الأستاذ/ محمد محمود الرافعي بعد أن  
 صححه على الأستاذ/ محمد محمود الشنقيطي، وطبعه بمطبعة المرسعات  
 بباب الخلق سنة ١٣٤١ هـ، ثم طبع بعد ذلك طبعة ثالثة في السنة  
 ١٣٣٤ هـ أي بعد الطبعة الأولى بثلاثة عشر عاما فقط.

والكتاب يقع في مائة وأثنين وأربعين فصلا، والفصل - الكلمة  
 ومرادفاتهما أو ما يقاربهما في المعنى، وأقل فصل يتكون من ثلاث كلمات  
 متحدة المعنى أو متقاربة، وقد يصل الفصل إلى اثنين وعشرين كلمة، تؤد  
 كلها معنى واحد أو معاني متقاربة.

والنادر في كتابه هذا يلاحظ عدة أمور:

١- أنه قد يذكر كلمات يرادف بعضها بعضا، أو متقاربة معانيها، وهذا  
 الغالب على كتابه، ولكنه قد يذكر تراكيب ثلث على معان متقاربة  
 فإنه يصيب الفصل ويقرب البعيد ويظهر المخفى ويبين الملتبس ويوضح  
 المشكل<sup>(٢)</sup> وهذا أبعد ما يكون عن الترادف بمعناه اللغوي، لأن الترادف  
 بهذا المعنى عند من يقره إنما يكون في المفردات لا في التراكيب.

(٢) الألفاظ المترادفة ص ٤١.

(١) الجامع لعلم القرآن ج ١٠.

٦- إن بعض الخدمات التي يذكرها على أنها مترادفة ليست ، كسر من كلمات اشتقت من مادة واحدة وذلك مثل :

«عوض وبدل وخلف وعقب وبدل وعقب»<sup>(١)</sup> .

فهنا نرى أنه ذكر بدل مع بدیل وعقب مع عقب على أنها كلمات مترادفة ، ومثل «عاقبته وعقبه وعقباه وعقبه» .. الخ<sup>(٢)</sup> .

وهنا يذكر عاقبته مع عقباه وعقبه ويذكر غبه مع مقبته .

٣- لأن الكلمات التي يذكرها على أنها مترادفة إذا أمعنا النظر فيها لا نستطيع أن نقول إن بينها ترادفاً أو مساواة في الدلالة وهذا مثل على ذلك :

«جساعة وخرق وفرقة وطائفة وشرذمة وعصبة ورهط وفقام وأحزاب وكردوس وحيلاء وعرج وعرصم وزازفات وثلة وزمرة وكتيبة وفيلق وخميس وجيش وعسكرة»<sup>(٣)</sup> .

وهذا ما دفع الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن يقول «ومع اعتدال أبي الحسن في حصر تلك المترادفات لا يكاد التراس يستعرض ألفاظ الكتاب حتى يتبين له أن كثيراً منها لا يمت إلى التوافق بصفة ، وحتى يتضح له أن معظم هذه الكلمات من ذوات المعاني المجردة ، كالأفعال والأحداث والصفات ، يفتر أن تشمل على الذوات الخمسة أو أسماء الأشياء»<sup>(٤)</sup> .

ثم يذكر بعد ذلك أمثلة عبر عنها بأنها تدل على الشطط والمغالاة في عددها من المترادفات ، يقول : «لا أقن أننا بحاجة إلى التعليق على هذه الأمثلة فمجرد النظر إليها يبين بوضوح مقدار مغالاة أصحاب الترادف وتجاهلهم لتطور الدلالات في الأجيال المختلفة وخلطهم بين دلالة جاهلية وأخرى إسلامية»<sup>(٥)</sup> .

وأنا لا أظن أن الرماني كان يقصد من الترادف معناه الذي نعرفه الآن ، من أن الكلمات المترادفة تتساوى في دلالتها على المعنى ، وأن كل واحدة منها يصح أن تحل محل الأخرى وتؤدي وظيفتها لأنها بمعناها ، ولكني أظن أنه كان يقصد أن ما ذكره من مفردات أو مركبات تتقارب في معانيها ، ولكن

(٣) نفسه ص ٢٣ .

(٢) نفسه ص ٤٢ .

(١) السابق ص ٤٤ .

(٥) السابق ص ٢٢١ .

(٤) دلالة الألفاظ ص ٢١٩ .

تقاربها لا يعنى مساواتها تماما فى الدلالة على المعنى، كما لا ينفى أن هناك فروقا بين كل كلمة وأخرى، أو بين كل تركيب وآخر، ودليلي على ذلك:

١- ما ذكرته فى الملاحظة الأولى، وهو أنه يدخل دلالة المركبات فيما ذكره من الترادف، ومعلوم أن المركبات ليست من الترادف فى شيء، وهذا يعنى أنه لا يقصد من ذكره الترادف معناه المعروف عند علماء اللغة؟

٢- عنوان الكتاب نفسه لم يتفق المؤرخون عليه، فقد قيل فى اسمه إنه «الألفاظ المترادفة» و«الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى» و«الألفاظ المتقاربة أو المترادفة المعنى». وإلى هذا العنوان الأخير أميل، لأنه يتسق مع الأدلة الأخرى ولا يتعارض معها.

٣- إن الرماني يرى أن هناك دلالة دقيقة لكل كلمة لا يشاركها فيها لفظ آخر، ولقد جاءت هذه النظرة منه للمفردات التى يبدو من ظاهرها أنها مترادفة فى معالجتته لأسلوب القرآن الكريم ونظريته إلى بلاغته وإعجازها، فهو يرى أن القرآن الكريم فى الطبقة العليا من البلاغة، وأن كل مفرد من مفرداته موضوع فى مكانه الصحيح، بحيث لو وضع مكانه غيره فإنه لن يؤدى ما أراده من دلالة، ومن هنا ذهب يفرق بين ألفاظ تبدو مترادفة مثل: الظلم والجور، الصدق والحق، السرعة والعجلة، المصير والمرجع... إلخ

يقول مثلا فى الفرق بين الظلم والجور:

ما الفرق بين الظلم والجور؟

الجواب: أن أصل الظلم: التقصان للحق، والجور: العدول عن الحق، ولذلك خولف بين النقيضين منهما، فتقيض الجور: العدل، وهو العدول بالفعل إلى الحق، ونقيض الظلم: الإنصاف، وهو إعطاء الحق على التمام<sup>(١)</sup>.

أليس من حقنا بعد ذلك أن نقول إن الرماني لا يقول بالترادف بين الألفاظ، وأن كتابه فى الترادف لا يعنى أن ما ذكره من ألفاظ يرى أنها متساوية تمام المساواة فى دلالتها؟

هذا هو الكتاب الثاني من كتب الرماني، الذي قدر له أن يخرج من سرداب المخطوطات إلى عالم المطبوعات، ذلك أن هذا الكتاب طبع في الهند لأول مرة بتحقيق الأستاذ/ عبد العليم الصديقي سنة ١٩٣٤م، ثم طبع بعد ذلك في مصر ضمن كتاب وثلاث رسائل في إعجاز القرآن، بتحقيق الأستاذ/ محمد خلف الله أحمد والدكتور/ محمد غلoul سلام، وصدرت منه طبعتان: الأولى في عام ١٩٥٦م، والثانية في عام ١٩٦٨م وبعد هذا الكتاب أو هذه الرسالة أشهر كتب الرماني المطبوعة والمخطوطة على الإطلاق، وأكثرها حظاً من حيث عناية الدارسين به، وتحليلهم له، والقاء الضوء عليه، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يحمل عنواناً في الإعجاز- والبلاغة وجه من رجوع الإعجاز السبعة عند الرماني- فإنه جميل البلاغة القرآنية أو هذا الوجه من رجوع الإعجاز هو شغفه الشاغل، وقضيته الأساسية.

ولقد اعتمد الدارسون الذين عرضوا لبلاغة الرماني على ما جاء في النكت من رجوع البلاغة العشرة وتناولوها بالعرض والتحليل والتفويص، ووضعها في مكانها الصحيح في تطور البلاغة العربية.

ولقد نظرت قاصرة من وجهة نظري، لأن هذا الأثر ليس هو كل ما ترك الرماني لنا في البلاغة، وإذا كان الجزء الأعظم من تراثه -ومنه التمرات البلاغية- قد ضاع فإنه بقي لنا قدر لا بأس به - وإن لم يكن كافياً، وينبغي على متوس بلاغة الرماني أن يعود إليه، فقد يجد فيه إضافة أو توضيحاً، أو مسألة غير مسائل البلاغة العشرة المعروفة عن الرماني، فيضمها إلى أخواتها، وبهذا نقترّب شيئاً فشيئاً من تصور بلاغته.

كما أن كتب الأدب والبلاغة التي جاءت بعد ذلك حملت إلينا بعض آراء الرماني في مسائل بلاغية، وقد نسبها أصحابها إليه صراحة، وهذه أيضاً ينبغي الانتفاع بها لتزداد صورة البلاغة عند الرماني وضوحاً<sup>(١)</sup>.

أما الاعتماد على كتاب النكت وحده في دراسة بلاغة الرماني، فإني لا أرى أنه منهج صائب، وأنا لا أقول إننا نستطيع أن تصل إلى تصور كامل

(١) لقد استعان الدكتور/ عبد القادر حسين ببعض المصادر الأخرى في معرفة بلاغة الرماني لكننا نحاوله معجولة.

لبلاغة الرماني، فهذا أمر لا أدعيه، ولا يملك أحد أن يدعيه، لأن ما بقي لنا من بلاغته في مصادرها المختلفة لا ينهض بهذه الغاية، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

### ٢- كتاب الحروف:

ورد ذكر هذا الكتاب في عدد من المصادر، التي ترجمت للرماني، وأشارت إلى كتبه، كنزه الألباء وإنباه الرواة وبغية الوعاة وإشارة التعمين وطبقات ابن شهبة وهداية العارفين وغيرها.

إلا أن هذه المصادر لم تتفق على اسم الكتاب، فالفقطي مثلاً، يراه باسم «الحروف»، وابن الأنباري وياقوت وغيرهما يذكرونه باسم «مسنى الحروف»، فهل عما كتابانا؟

الواقع أن لكتاب «الحروف» للرماني نسختين مختلفتين:

إحداهما: مخطوطة ضمن مجموعة في «اسطنبول» كوبريلي/ ١٣٩٢، ومن هذه النسخة فيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم ١١٥ لغة، وتاريخ نسخها سنة ٦٢٥ هـ تقريباً، وهي تقع في فيلم المعهد فيما بين ص ١٠ وص ٢٤ وفي هذه النسخة تحدث الرماني عن: اللامات - الألفيات - الهاءات - الباءات - التونات - التاءات - ما - من - أي - أن - المحففة - إن - المحففة - حتى - من - لام - الإضافة - تصرف رويد - تصرف الحروف بما تدخل عليه<sup>(١)</sup> - الخبر - الأسماء التي تعمل عمل القعل - حروف الزيادة - الفرق بين إما وأما - الفرق بين إن وإن - الفرق بين أم وأو - الفرق بين لو وإن.

وللكتاب نسخة أخرى مخطوطة ضمن مجموعة أيضاً بمكتبة البديري بالقلم، لها فيلم أيضاً بمعهد المخطوطات «فيلم» القدس، والكتاب هو الرسالة الثانية، من ص ٦٣٥ إلى ص ٦٦٠ وقد كتبت هذه النسخة في القرن التاسع، وفيها تحدث عن الحروف الأحادية والثنائية والثلاثية والرابعة.

(١) يقصد بتصرف الحروف فيما تدخل عليه أن من الحروف ما يختص بالاسم كالألف واللام ومنها ما يختص بالفعل كالسين وسوف ومنها ما يختص بالجملة وحدها كالف الاستفهام، وما يدخل على الاسم ليعقده باسم آخر.. الخ.



والحروف الأحادية على: الهمزة - الباء - التاء - السين - الفاء - الكاف -  
اللام - الواو.

والحروف الثنائية هي: أل - أم - أن - إن - أو - أي - لا - ما - وا - ها - يل -  
عن - في - من - قد - كي - لم - لو - هل - مذ.

والحروف الثلاثية هي: منذ - نعم - بلي - ثم - جبر - كذا - رب - على -  
سوف - إن - أن - ليت - ألا - إلى - إذا - أيا.

والحروف الرباعية هي: حاشا - حتى - كان - كلاً - لولا - لوما - لعل - ألا -  
إما - أمّا - هلاً - لما - لكن.

هاتان هما النسختان اللتان تخمّلان اسم «كتاب الحروف» وهما كما  
نرى مختلفان، وإن كان بينهما بعض الاشتراك في بعض الحروف.

ونلاحظ عليه أنه يتحدث عن الحروف بما يعنى الأدوات، ما عمل منها  
وما حصل، وهو يذكر عند كل حرف من الحروف في نسخة القدس: أعماله  
أم هامل، ثم يسرد الحديث عنه بعد ذلك، مؤيداً بالنصوص والشواهد القرآنية  
والشعرية.

ولعل الرمانى اطلع على كتاب الحروف لأوسططا ليس، الذي أشار إليه  
ابن النديم في الفهرست، فآلف كتاب الحروف على منواله<sup>(١)</sup>.

عنا ولقد شرح كتاب «معاني الحروف» على بن فضال المجاشعي  
القيرواني، المتوفى سنة ٤٧٩ هـ<sup>(٢)</sup>، ولقد نشر الأستاذ/ محمد حسن آل ياسين  
النسخة الأولى من كتاب الحروف تحت عنوان «منازل الحروف»، وذلك في  
المجموعة الخامسة من «نفائس المخطوطات» التي يتولى تحقيقها وطبعها في  
التجف الأشرف، ولقد شغلت النسخة ما بين ص ٩ و ص ٤٥ من صفحات  
المجموعة، واعتمد في نشره على نسخة ضمن مجموع مخطوط في خزنة  
المتحف العراقي تحت رقم ٧٧٨، وقال الناشر: إن الذي أطلق عليها هذا الاسم  
هو الناسخ، وأنه تابعه على ذلك.

كما نشر الكتاب أيضاً الأستاذ/ غلام مصطفى في مجلة الألسن  
الشرقية بلا هو - العدد الثاني - المجلد السابع من ص ١٨ إلى ص ٤٢.

(١) مقدمة كتاب معاني الحروف للرمانى تحقيق د. عبد الفتاح شلبي ص ٢٧.

(٢) معجم الأديباء ج ١ ص ٩٢، هداية العارفين ج ١ ص ٦٩٢، قبل كشف الظنون ج ٢ ص ٥٠٩.

ثم جاء بعد ذلك الدكتور/ عبد الفتاح شلبي وطبع تسخني الكتاب على اختلافهما في الكتاب واحد، مع مقدمة وتحليل للنسختين، وبدأ بنسخة القدس وثني بنسخة اسطنبول.

وكنت أتوقع منه أن يفصل القول في حقيقة الكتاب، وهل يمكن أن تكون النسختان لكتاب واحد، فصل النساخ ما بين أجزائه، فتداخلت بعض أبوابه في بعض؟ أم هل هما كتابان مختلفان للرماني، كتبهما في مرحلتين من مراحل حياته ولم يشأ أن يغير العنوان؟ وربما كان عنوان أحد الكتابين هو «معاني الحروف» وعنوان آخر هو «الحروف»، فكان ينبغي عليه حينئذ أن يحقق هذه المشكلة.

ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك، واكتفى بنشر النسختين في كتاب واحد، وجعل للكتاب عنوانا واحدا هو «كتاب معاني الحروف»، وكأنهما كتاب واحد له وجهان.

نموذج منه:

يقول في الفرق بين أم وأو:

«اعلم<sup>(١)</sup> أن «أم» استفهام على معادلة الألف بمعنى «أي» أو الانقطاع عنه، وليس كذلك «أو»؛ لأنه لا يستفهم بها، وإنما أصلها أن تكون لأحد الشيئين، وإنما تجيء أم بعد أو<sup>(٢)</sup>، يقول القائل: ضربت زيدا أو عمرا فتقول مستفهما أزيدا ضربت أم عمرا؟ فهذه المعادلة للألف كأنك قلت أيهما ضربت؟ فجوابه: زيدا إن كان هو المضروب، أو عمرو<sup>(٣)</sup> إن كان وقع به الضرب، ولو قلت أزيدا ضربت أو عمرا لكان جوابه نعم أو لا؛ لأنه في تقدير أحدهما ضربت؟. الخ<sup>(٤)</sup>.

(١) هذه الكلمة ساقطة من «منازل الحروف المطبوعة في العراق».

(٢) وهذه الكلمة ساقطة أيضا من «منازل الحروف»، ووضع مكانها عدة نقط بين قوسين كبيرين.

(٣) المثبت في «منازل الحروف» بعد ذلك مباشرة «ولا يجوز أن يكون جوابه نعم أو لا؛ لأنه في تقدير أحدهما ضربت» ص ٣٩ ويقارنته بالتشابه المتقول هنا نجد قد اختلط عليه الأمر فخلط بين فقرات النص الأصلي.

(٤) الورقة ٢٣ من الفيلم ١١٥ لفة. منازل الحروف ص ٣٩. كتاب معاني الحروف تحقيق شلبي

ص ١٧٣.

## أهم المصادر والمراجع

ملاحظة: هذه المصادر والمراجع هي مصادر البحث كله ومراجعته، وأكثرها مشترك بين الباحثين، لذا لم أثنأ أن أسجل مصادر البحث الأول ومراجعته وحده.

### أولاً: المخطوطات:

١- تفسير جزء (عم) التنبؤ للرماني مخطوط تحت رقم ٢٠١ تفسير تيمور بلار الكتب.

٢- الجامع لعلم القرآن للرماني فيلم بمعهد المخطوطات العربية عن نسخة خطية بمكتبه قشند تحت رقم ٣١٣٧.

٣- الجامع لعلم القرآن للرماني فيلم بمعهد المخطوطات تحت اسم «تفسير القرآن» ضمن نسخة مخطوطة بمكتبة المسجد الأقصى تحت رقم ٢٩.

٤- الحروف للرماني فيلم بمعهد المخطوطات تحت رقم ١١٥ لفة عن مخطوطة ضمن مجموع مخطوط في اسطنبول «كوي يلى» ١٣٩٣.

٥- طبقات المفسرين للنادي مخطوط بلار الكتب تحت رقم ١٦٨ تاريخ.

٦- طبقات النحويين واللفويين لابن شبة الأمدى مخطوط بلار الكتب تحت رقم ٢١٤٦ تاريخ تيمور.

## ثانياً، المصادر والمراجع المطبوعة :

- ٧- أثر القرآن في تطور للدكتور كامل الخولي دار الأنوار للطباعة ط أولى سنة ١٩٦٢ هـ  
البلاغة العربية
- ٨- أثر القرآن في تطور للدكتور محمد زغلول دار المعارف ط ثالثة سنة ١٩٦٨ م  
النقد العربي سلام
- ٩- أثر النحاة في البحث للدكتور عبد القادر حسين ومالة مخطوطة بمكتبة كلية الد  
البلاغي
- ١٠- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني نشرة مكتبة القاهرة- سنة ١٩٥٩ م.  
المعيد محمد رشيد رضا
- ١١- إعجاز القرآن للمباقلاني، تحقيق الصيد للدار المعارف سنة ١٩٦٢ م  
أحمد صقر
- ١٢- الألفاظ المترادفة للرماني، نشره محمد مطبعة الموموعات سنة ١٣٢١ هـ  
محمود الرافعي
- ١٣- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط.  
حققه أحمد أمين، أحمد  
ثانية  
الزوين
- ١٤- البداية والنهاية ج ١ لأبي الفدا بن كثير مطبعة السعادة بدون تاريخ
- ١٥- البديع لابن المعتز، تحقيق الدكتور ط. مصطفى الحلبي ١٩٤٥  
محمد عبد المنعم خفاجي
- ١٦- البرهان في علوم القرآن للزركشي حققه محمد عيسى الحلبي سنة ١٩٥٨ م  
أبو الفضل إبراهيم
- ١٧- بغية الوعاة ج ٢ للسيوطي حققه محمد أبو الفضل إبراهيم  
عيسى الحلبي ط. أولى

- ١٨- البيان والتبيين للمجاهد حقه عبد السلام  
لجنة التأليف والترجمة والنشر  
سنة ١٩٤٨ م  
فارون
- ١٩- تاريخ بغداد ج ١٢ للمخطيب البغدادي  
طبعة السعادة ط. أولى سنة  
١٩٣١ م
- ٢٠- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد  
أحمد صقر  
عيسى الحلبي سنة ١٩٥٤ م
- ٢١- ثلاث رسائل في إعجاز حقه د. محمد زغلول  
القرآن سلام ومحم خلف الله  
أحمد  
ثالثة سنة ١٩٦٨ م
- ٢٢- الحيوان للمجاهد حقه عبد السلام ط. مصطفى الحلبي - بدون تاريخ  
فارون
- ٢٣- خطبات التفسير د. محمد رجب البيومي  
مجمع البحوث الإسلامية سنة  
١٩٧١ م
- ٢٤- دلالة الألفاظ الجاني  
د. إبراهيم أنيس  
الأخلاق المصرية - ط. ثانية - سنة  
١٩٦٣ م
- ٢٥- الرماني النحوي د. مازن المبارك  
دمشق سنة ١٩٦٣ م
- ٢٦- زهر الآداب ج ١ ، للصوري تحقيق د. فكي  
ميالك  
المكتبة التجارية ط. ثالثة سنة  
١٩٥٤ م
- ٢٧- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي،  
تحقيق عبد المتعال  
الصعدي  
محمد علي صبيح سنة ١٩٥٢ م
- ٢٨- شذرات الذهب ج ٣ لابن العماد الحنبلي  
مكتبة القدس - سنة ١٣٥٠ هـ
- ٢٩- الصناعتين لأبي هلال العسكري  
تحقيق علي محمد  
البجاوي، محمد أبو الفضل  
إبراهيم  
عيسى الحلبي ط. ثانية - بدون  
تاريخ

- ٣٠- صور من تطور البيان د. كامل الخولي دار الأنوار للطباعة ط. أولى - سنة ١٩٦٢ م  
العربي
- ٣١- طبقات المفسرين للسيوطي ط. طهران سنة ١٩٦٠ مصورة عن ط. ليدن سنة ١٨٣٩ م
- ٣٢- العمدة لابن رشيح تحقيق محمد مطبعة السعادة ط. ثانية سنة ١٩٥٥ م  
محيي الدين عبد الحميد
- ٣٣- الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري بيروت ط. أولى ١٩٧٢ م
- ٣٤- الفهرست لابن النديم ط. بيروت بدون تاريخ
- ٣٥- القرآن الكريم وأثره في د. عبد العال سالم مكرم دار المعارف سنة ١٩٦٨ م  
الدراسات النحوية
- ٣٦- القرآن والصورة البيانية د. عبد القادر حسين دار نهضة مصر سنة ١٩٧٥ م
- ٣٧- لسان الميزان جزء للمقلائي حيدر آباد الدكن ط. أولى - سنة ١٣٣٠ هـ
- ٣٨- معاني الحروف للرماني، تحقيق د/ عبد دار نهضة مصر سنة ١٩٧٣ م  
الفتاح شلي
- ٣٩- معاني القرآن جزء للفراء تحقيق أحمد يوسف مطبعة دار الكتب سنة ١٩٥٥ م  
تجاني ومحمد علي النجار
- ٤٠- معترك الأقران للسيوطي تحقيق علي محمد البجاوي دار الفكر العربي بدون تاريخ
- ٤١- معجم الأدباء جزء ١٤ لياقوت الحموي مطبعة دار المأمون بدون تاريخ
- ٤٢- مفتاح السجادة جزء لطاهر كبرى زاده تحقيق كامل كامل بكري،  
عبد الوهاب أبو النور
- ٤٣- المقاهبات لأبي حيان التوحيدى المكتبة التجارية ط أولى سنة ١٩٢٩ م  
تحقيق حسن السندوي



تعلیق سنہ ۱۶۵۸ م

١٤ - مقدمة توجيه إعراب المتنوب للرمانى كجها

أبواب ملغزة الإعراب الأستاذ سعيد الألفغاسي

بغداد سنة ١٩٥٥ م

٤٥- منازل الحروف للمراتى المجموعة الخامسة

من مفاتيح المخطوطات التي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حسن اک یاسین

٤٦ - المتظم      المجلد السابع لابن الجوزي      مجلس أباد الدكن ط. أولى سنة

جبل اباد الدكن ط. أولى سنة

—1358

٤١٧- منهم الأعرجي في د. مصطفى الصاوي دار المعارف سنة ١٩٥٩م

تفسير القرآن وبيان إعجازه المجتبي

٤٨- المداونة للأمدى بتحقيق السيد أحمد دار المعارف سنة ١٩٦١م

دار المعارف سنہ ۱۹۶۱ء

تصنيف

١٤ - النجوم الزاهرة جزء ١ لابن تغري بردى مطبعة دار الكتب المصرية ط ١ أولى

مطبعة دار الكتب المصرية ط. الأولى

حسنة ۱۹۲۳ م

منور کھلم ط. ثانیہ

٥- نهضة الألبان - لأبي البركات الأنباري،

تحقیق عطیہ عامر

٥١- نقد الشعر      لتقديمه، تحقيق محمد الطاعة الوطنية سنة ١٩٣٤ م

الطاعة الوطنية سنة ١٩٣٤ م

عيسى صون

خار

٥٢ - نقد النشر      النصب القديمة - نشره د. دار التأليف والترجمة والنشر

1957

وله حسن: عبد الحميد

العادي

٥٣- الواسطة      للفاضل الجرجاني حققه      عيسى الحلبي سنة ١٩٣٦م

عيسى الحطبي سنة ١٩٣٦ م

محمد أبو الفضل إبراهيم،

علمی محمد البجاری

٥٤ - وفیات

الأعنان ج ٢

لاهن خلکان تحقیق محمد مکتبۃ التہذیب المصریۃ سنۃ ۱۹۱۸ م

محرم الدين عبد الحميد

وهناك بعض المراجع الأخرى التي نلتفد بها في هذا البحث استوفينا بالإشارة إليها في هوامشه....

٧٠ -

# مصطلح المجاز المرسل

الأستاذ الدكتور

إبراهيم عبد الحميد السيد القلب